المقدمة

لابد لنا قبل التعرض لدراسة الأسواق في المشرق الإسلامي أن نتطرق بشيء من الإيجاز إلى ما نعنيه بالمشرق، أن لفظ المشرق هي تعبير أوضح مدلولاً من لفظ المغرب، وأكثر منه وروداً في النصوص التاريخية.

فالبعض جعله يبدأ من مدينة السلام (بغداد) إلى أقصى مجمل المشرق، حدود المشرق تبدأ من النهروان (المشرق كله من النهروان إلى أقصى بلاد الترك). أما البعض الآخر فيجعله يبدأ من همدان (من همدان إلى آخر المشرق) ، وبرغم الاختلاف من وجهات النظر حول تحديد مفهوم المشرق من خلال كتب التراث ، فإننا أثرنا أن نجعل بداية المشرق الإسلامي من العراق خصوصاً في العصر العباسي ، إذ اتخذ العباسيون بغداد حاضرة لدولتهم، فكان تعبير (المشرق الإسلامي يعني العراق وبلدان الخلافة الشرقية، فارس وبلاد ما وراء النهر باعتبار أن العراق ومنذ إنشاء بغداد عام (١٤٥هـ/٧٦٣م) التي أصبحت مركز للحركة العلمية في العالم الإسلامي، أدت دوراً رائداً في ميدان الحضارة العربية الإسلامية قل أن أدته مدينة أخرى عبر العصور الإسلامية، برزت تأثيراته بشكل واضح على باقي بلدان ومدن الدولة العربية الإسلامية في جميع مناحي الحياة، وأصبح العراق مركزاً لإدارة أقاليم المشرق الإسلامي منذ عهد مبكر، إلا أن دوره الحضاري برز بشكل واضح في العصر العباسي، فشمل كل نواحي الحياة السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت محصلة للنشاط الحضاري منذ قيام الدولة العربية الإسلامية زمن الرسول محمد 6 حتى العصر العباسي، أن هذه الفترة الطويلة كانت تنبض بالحيوية الحضارية بما فيها الأسواق في المشرق الإسلامي والعراق وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر)، إلا أننا نجد أن المشرق الإسلامي تعرض في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري وتحديداً منذ النصف الثاني بخلافة المقتدر عاشت الدولة العباسية مرحلة من أكثر مراحلها سوءاً وعلى جميع المستويات، إذ عمت الاضطرابات والفتن

في كل نوع عاصمة المملكة، وزالت عن الجند والرعية هيبتهم، وبات قادة الجند يتحكمون بصورة كاملة في اختيار وعزل الخلفاء ويتدخلون في الأمور صغيرها وكبيرها، وتدريجياً اتخذت سلطات الخليفة تنتقل إلى كبار القادة العسكريين، مما زاد من حدة صراعات هؤلاء ، وشهد العراق نتيجة ذلك سلسلة من الفتن والصراعات الداخلية ، كان يدفع ثمنها دائماً عامة السكان، قتلاً وتدميراً فتدهورت الأحوال الاقتصادية وعانت البلاد من موجات غلاء ومجاعة، وفرغت خزانة الخلفاء وبذلك كانت السيطرة البويهية إيذاناً ببدأ مرحلة جديدة في حياة الدولة العباسية، وكانت أرض الصراع بصورة أساسية بغداد بصورة خاصة والعراق بصورة عامة التي عمتها الاضطرابات والأزمات وانتشر فيها العيارون واللصوص ليزيدوا أحوالها سوء على سوء، لقد شكلت هذه المرحلة بحق البداية الحقيقية لانهيار الدولة العباسية، وأن كانت هذه المؤشرات قد بدأت قبل ذلك بفترة، وستحاول هذه الدراسة أن تبرز صور عن أحوال الدولة العباسية خلال السيطرة البويهية فيما يخص الأسواق، إذ سنتطرق لأحوال الدولة البويهية من حيث تأثيرهم على أحوال السكان من خلال فرض ضرائب غير شرعية فضلاً عن حالات زيادة أسعار السلع والاحتكار وتأثير الحياة السياسية على المشرق الإسلامي بشكل عام والعراق بصورة خاصة، إذ فرضت طبيعة العلاقة التي ربطت بين مقاطعتي فارس والعراق آنذاك، فالعديد من أمراء فارس تولوا في الوقت نفسه حكم العراق، بل أن فارس تحولت في بعض الفترات إلى المقر الأساسي للأمير البويهي، الحاكم الحقيقي للخلافة العباسية، عندما نقل هؤلاء مقر حكمهم من بغداد إلى شيراز، وباتت الخلافة تدار من شيراز عاصمة فارس، التي لم تكن مجرد عاصمة لإقليم من أقاليم المملكة، بل كانت إحدى عواصم الدولة البويهية إلى جانب بغداد والري .

ولقد تم تقسيم هذا البحث إلى أربع مطالب، إذ خصص المطلب الأول لدراسة الأسواق في بلاد المشرق الإسلامي من حيث تسميتها وتخطيطها وتخصيصها ودراسة الأسواق الجامعة في كل العراق وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر .

أما المطلب الثاني فقد تم تخصيصه لدراسة الأسعار والاحتكار وتأثيرهما على أصحاب السوق في المشرق الإسلامي وبيان دور المؤثرات السياسية والظروف الطبيعية على حالات المجاعة التي أصابت العراق بشكل خاص والمشرق الإسلامي بشكل عام .

ولقد تم تخصيص المطلب الثالث لدراسة الضرائب المفروضة على الأسواق والحوانيت والسلع في المشرق الإسلامي ومدى تأثيرها على حركة السوق وقد أهلكت كاهل أهل السوق من صغار التجار، وبيان دور البويهيين اللذين فرضوا ضرائب ومكوس على كل شيء حتى قالوا أن الهواء وحده بقي حراً دون ضرائب. أما المبحث الرابع فقد تصدى لدراسة الرقابة المفروضة على الأسواق في المشرق الإسلامي ودور الدولة العربية الإسلامية في الحد من تسلط المحتكرين والمستغلين لسلطاتهم من الأمراء والقادة والأغنياء بأحكام السلع إذ وقعت المحتسبين على جميع الأسواق ومن ينوب عنهم من العرفاء يتولى كشف حالات التدليس والغش من بعض أصحاب الضمائر الضعيفة من التجار التي تحدث في الأسواق .

أما الخاتمة فقد احتوت على جميع النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة .

تحليل المصادر: أما المصادر التي اعتمدناها في إعداد هذا البحث فتشمل مجموعة كبيرة ، غير أننا سنتطرق فيما يأتي إلى المصادر ذات قيمة أساسية في تزويدنا بالمعلومات الخاصة لموضوع بحثنا، وتعد كتب البلدانيين ذات معلومات قيّمة ووافية عن الأقاليم والمدن فقد تناولت الحياة الاقتصادية وصفة كل إقليم من أقاليم الدولة العربية الإسلامية، ومن أقدم ما وصل إلينا من هذه الكتب كتاب (البلدان) لليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٩٨٧م)، إذ أورد أخبار قيمة عن مدن العراق ، وكتاب الأعلاق النفيسة (لابن رسته) (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) ، وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، وفيهما معلومات هامة عن صفة المدن ومعلومات اقتصادية هامة عن بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر، وزودنا ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، في كتابه صورة الأرض، والمقدسي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م) في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم) ، معلومات قيمة ، وفي كتب الحسبة مادة جيدة عن الشروط الواجب توفرها في المحتسب وطرق مراقبة أصحاب السوق ، ومن أهم هذه الكتب نهاية الرتبة في طلب الحسبة (لابن بسام) عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) وكتاب (معالم القربة في أحكام الحسبة)، لابن الأخوة (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، وكتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) للشيرازي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، ومن الكتب الحديثة فقد استفدنا من كتاب (التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري) للدكتور صالح أحمد العلي، وكتاب حمدان الكبيسي أسواق بغداد الذي أمدنا بمعلومات وافية عن الأسواق في بغداد منذ تأسيسها سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٣م إلى العصر البويهي. وإننا لا ندعي الكمال فالكمال لله وحده ، ولكننا نرجو الله القدير أن يكون بحثنا باكورة لأبحاث أخرى خدمة لتاريخنا العريق وخدمة مجتمعنا .

المطلب الأول

الاسواق تخطيطها، تخصصها والأسواق الجامعة في بلاد المشرق الإسلامي (العراق وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر)

١- الأسواق تخطيطها :

أ- التسمية

يعرف ابن خلدون الاسواق بقوله: "اعلم أن الأسواق كلها تشمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الاقوات من الحنطة وما في معناها كالباقلاء والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحاجي والكمالي مثل الأدم والفواكه والملابس والماعون والمركب وسائر المصانع والمباني"[١].

والحقيقة أن كلمة السوق تعني في المدن مجموعة من الحوانيت والمصانع التي تتركز فيها الحياة الصناعية والتجارية، كما تعني الاسواق البسيطة التي تنتشر في القرى [٢].

ونظراً لكثرة الناس الذين يغدون إلى هذه الأسواق. كان الرسول الكريم 6 يقصدها أول دعوته، ويعرض نفسه ودعوته على القبائل في هذه المواسم. وهذا يدل على أهمية الاسواق وكثرة من يفدها من التجار. ونظراً لأهمية التجارة فقد وردت أحاديث كثيرة في تحبيذ التجارة ولاشتغال فيها لأن تسعة أعشار الرزق من التجار قال رسول الله 6 : ((عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق))[٣]، ويذهب حديث اخر إلى أبعد من ذلك، فيضع التاجر الامين في مرتبة النبيين والصديقين والشهداء قال رسول الله 6 : ((التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء))[٤] فضلاً عن إن الرسول الكريم 6 وخلفاءه الأربعة اشتغلوا بالتجارة وبذلك رفعوا من شأنها في نظر المسلمين [٥]، وهناك سور كثيرة في القرآن الكريم تؤيد ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾[٦].

ب- شكل الأسواق في المشرق الإسلامي في العصر الراشدي

يمكن القول بأنها كانت فضاء لا بناء فيها ولا سقوف تظللهم في أماكن البيع والشراء ومزاولة حرفهم [٧]، إذ إن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٣م) كان قد جعل نظام الاحقية باستغلال أي موضع حسب أسبقية وصول التاجر إلى السوق فقد أشار "الأسواق على سنه المساجد من سبق إلى مقصده، فهو له حتى يقوم إلى بيته أو يفرغ من بيعه"[٨]. ومن شروط بناء المدن في نظر المسلمين أن يتوفر فيها قبل كل شيء أمران ضروريان هما المسجد والأسواق التي كانت تقام حول المسجد أو بالقرب منه [٩].

ومن الجدير بالذكر فقد اختطت الأسواق في المدن الإسلامية حول المسجد أو بالقرب منه، كما في جوامع البصرة الثلاثة وجامع الكوفة وجامع تكريت كان في وسط السوق، وفي واسط كان الجامع في طرف السوق [١٠].

ولقد حرص العرب المسلمون بعد انتهاء الفتوحات العربية الاسلامية على إنشاء الاسواق في الامصار، فزاد العمران واتسعت المدن وأصبحت الأسواق فضلاً عن كونها لأغراض تجارية واجتماعية وسياسية مكاناً لمفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء كما هو الحال في البصرة والكوفة (١١).

وقد توفر في معظم المدن في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر الشرطان اللذان على أساسها تحدد المدن وهما المسجد الجامع ذو المنابر والأسواق (١٢)، ولم تخل المنابر إلا من عدد منها وخاصة المدن الصغيرة، أما الأسواق فقد كانت موجودة في كافة المدن تقريبا، واصلا، فأن انتعاش الحياة الدينية وتطورها بفارس كان مرتبطاً بنمو والحركة التجارية خاصة وازدهارها بالحياة الاقتصادية في الأقليم بشكل عام، ففي ارجان(*) "كان الجامع على طرف الاسواق، ومنها سوق البزازين وعليه ابواب تغلق كل ليلة، أما سوق الحنطة فهو احسن اسواق المدينة"(١٣)، ومن مدن ارجان، هندوران، وكان الجامع والسوق بين جهة وبقية الدور وسوق السمك في الجانب الاخر من المدينة (١٤)، وداريان لها سوق عامر، وسينيز لها سوق طويل، والجامع ناء عن السوق (١٥).

ومن مدن اردشير خرة(**)، هناك نجيرم، وسوقها خارج البلد، وكركم جامعها على الرابية على رأس السوق يصعد إليه في درج، وراس كثم صغيرة ولها سوق واسع، وهكذا كان حال سائر مدن فارس وبلاد ما وراء النهر لتجد مدنا صغيرة، يذكر الجغرافيون أنه كان بها أسواق عامرة وكبيرة (١٦).

تتنوع اشكال الاسواق من مدينة إلى أخرى، وقد لاحظ الرحالة الاوربيون الذين شاهدوا مدينة شيراز "بعد أن ذهب عزها القديم، لاحظوا عظم اسواقها وتنوعها"(١٧)، إلا أنها كانت ضيقة الممرات مما يؤدي إلى ازدحام داخلها كما يذكرها المقدسي (١٨)، أما في مدينة بيارخان السوق في الدور، والباعة نساء وهذا يعني أن بيوتهم متاجر، وليس في المدينة سوق نساء

خاص، وهذه البيوتات المتاجر منها علو ومنها سفل، وكأن الدور هناك طابقان، فقد يكون البيت في الطابق الاسفل ويكون البيع فيه، أو أن يكون في الطابق العلوي، ويكون البيع فيه أيضاً [١٩].

وقد يكون السوق من خشب كما في فسا[*]، وهناك أسواق طويلة يدخل إليها خور تجري فيه المراكب سوق جناية على خور أيضاً وأسواقها بأزقة، أما في ارجان فكانت تحتوي على كل أنواع المنتوجات حتى أنها اعتبرت خزانه فارس والعراق [٢٠].

وقد ضمت مختلف أنواع الأسواق، وكانت أحسن هذه الأسواق، سوق الحنطة وسوق البزازين الذي يصفه المقدسي بأنه على شاكلة سوق سجستان "ذو صفوف مصلبة والابواب من الاربعة جوانب يقابل بعضها بعضا وتغلق كل ليلة"[٢١].

بالمقابل فقد كانت سيراف[**] وبضائعها وما احتوته أسواقها (خزانة فارس وخراسان)[٢٢] وعرفت بلياقة اسواقها وكبرهما، وغنى تجارها، واتساع نشاطها التجاري، وكثرة التجار الأجانب فيها واعتبرت السوق الأعظم لفارس[٢٣]. أما اصطخر[***] فكانت بدورها تضم عدة أسواق، حيث يجد الشاري كل أنواع البضائع، وكانت أسواق كثة معروفة بحسن عمارتها.

أولاً: أسواق يومية:

هناك أسواق شعبية موسمية ويقام يوميا إضافة إلى سوق المدينة، يقام سوق اخر في المناطق على حسب الأيام، ففي منطقة خان طوق ست مدائن، في كل يوم من أيام الأسبوع هنالك سوق في إحدى هذه المدائن، وكذلك في مدينة العسكر يقام سوق الجمعة وفي كرخة يقام سوق الاحد وفي الاهواز[*] يقام سوق الاربعاء [٢٤].

ثانياً: صفات الاسواق:

ومن صفات الأسواق أيضاً البهاء واللطافة، ففي مدينة عسكر مكرم(**) اسواق بهية كثيرة الخيرات، واسواق مدينة تستر كبيرة ومتشعبة، وكثيراً ما يضل فيها الغريب وفي الاهواز جنسيات متعددة، والاسواق في الجانب الفارسي، وإذ كان في المدينة أكثر من ديانة كالمسيحية والإسلام، كنا نرى سوقاً خاصاً بالمسلمين، وقد تكون الأسواق داخل المدينة أو خارجها (ريفها)، ففي دار بجرد بعض الأسواق في المدينة وبقيتها بالربض، وهو جانب واحد، وسوق البز فيها شبه خان، له بابان [٢٥]. ومن أجمل وأفضل أسواق المشرق الإسلامي أسواق لأمهر مز فهي أسواق عامرة، خيراتها كثيرة وهي في غاية الحسن، بناها عضد الدولة "نظيفة ظريفة، قد زوقت وبريقت وبلطت وظللت وجعل عليها دروب وخلق في كل ليلة يسكنها البزازون والعطارون والحصارون"[٢٦].

نستطيع أن نستدل من النص السابق أن هذه الأسواق التي هي عبارة عن مراكز تجارية يدل الاهتمام بها على الاهتمام بالتجارة عموماً، وعلى ازدهار المدن التي تقع فيها هذه الأسواق.

ج- أسواق العراق العصر الاموي

لقد وجدت ظاهرة تخصص الاسواق منذ وقت مبكر من قيام الدولة العربية الاسلامية، إذ تشير النصوص إلى وجود سوق النجاريين والصيارفة وسوق الطعام في مدينة الحيرة، وفي البصرة كان أصحاب كل مهنة يجتمعون في محل واحد مكونين سوقاً فرعية صغيرة داخل السوق الكبير، منها سوق العطارين، وسوق الطعام، وسوق الغنم، وسوق القصابين، وسوق الصرافين [٢٧].

أسواق العراق :

١- سوق الحيرة(*)

لقد بنى يوسف بن عمر(*) في الحيرة أثناء ولايته عليها في خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ/ ٧٢٤- ٧٤٣م)، سوقاً سمي بسوق عمر (٢٨).

٢- سوق البصرة:

ولقد اهتم ولاة البصرة بأمر الاسواق وتوسيعها وانشأت أسواق جيدة، فقد اهتم واليها عبد الله بن عامر (**) بأمر السوق فقد أشار البلاذري إلى إنه كان قد اشترى السوق وتصدق به (٢٩) أي أنه لم يضرب عليه خراج (٣٠)، ثم حفر قناة سميت باسمه وبنى على جانبها سوقاً بقت إلى أيام بلال بن أبي بردة(***) الذي نقل السوق إلى موقع آخر(٣١).

٣- أسواق الكوفة(****):

ومنذ أن انشت الكوفة ظهر فيها الاسواق المتخصصة إلا أنها في فترة ولاية خالد بن عبد الله القسري(*****) برزت بشكل واضح. ذلك هو الوالي كان قد صنف الاسواق في الكوفة حسب عروض التجار التي تعرض فيها وجعل لكل باعة داراً (٣٢) وطاقاً(******).

يتضح من النص السابق أن الوالي رأى من الضروري أن يصنف الاسواق بسبب المواد المنتجة لأن ذلك من شأنه تسهيل مهمة الاشراف عليها من قبل عامل السوق، كما أنه يقلل من احتمال حدوث احتكار السلع، فضلاً لما توفره هذه الحالة من سهولة للمشتري لغرض التسوق. وقد أشار لويس مايسنون(*) إلى أهمية مدينة الكوفة "وأما في موضعها (أي الكوفة) فيمكن اعتباره ثغراً من ثغور البادية ومحلاً لتبادل السلع بين الفرس من جهة وأصحاب الابل البدو من جهة أخرى كما كان الموقع أيضاً جسراً للاتصال بين الجماعات الدينية المنتشرة في البادية وأهل المدن والقرى من الاراميين (٣٣) الذين سكنوا الموقع قديما عند الحيرة والنجف(**).

وقد أشار اليعقوبي إلى أحد أسواق الكوفة قائلاً: "ومن قصر ابن هبيرة (***) في موضع يقال له سوق اسد(****) غربي الفرات في الطسوج الذي يقال الفلوجة (*****)، ومن سوق سد إلى الكوفة والمسافات من بغداد إلى الكوفة عمارات وقرى عظام متصلة عامرة فيها اخلاط من العجم ومن العرب"(٣٤). يتضح من النص السابق إن الأسواق كانت مركز من مراكز الحياة السياسية ففيها يتلقى المسلمون وغيرهم بعضهم ببعض فيتعارفوا ويتحادثوا وفيها اختلطت عناصر السلكان المختلفة من عرب وأعاجم ومسلمين وأهل الذمة(******).من جانب آخر فقد كانت السوق مركز من مراكز الحياة السياسية ففيها تلاقي الناس تحت ستار التجارة بعيد عن عيون رقباء الولاة والحكام فدبروا المؤامرات وحاكوا خيوط الفتن (٣٥).

٤- أسواق واسط:

وقد اتبع نظام التخصص في الأسواق لأول مرة في الأسواق التي أمر الحجاج بن يوسف الثقفي(*) بانشائها في واسط (٣٦) وتحت هذا المعنى أشار أيضاً بحشل قائلاً: "أنزل أصحاب الطعام والبزازين والصيارفة والعطارين عن يمين السوق إلى درب الخرازين، وانزل البقالين وأصحاب السقط واصحاب الفاكهة في قبله السوق وإلى درب الخرازين والصناع" (٣٧).

٥- أسواق الموصل (**):

وكانت الموصل من المدن الرئيسة وكثرت فيها الأسواق لكونها مركزاً اقتصادياً مهما لموقعها التجاري المتميز على طرق المواصلات (٣٨) إذ برزت فيها ظاهرة التخصص في الاسواق مثل سوق البزازين وسوق السراجين المتخصص للمنتجات الجلدية كالسروج والاحزمة والاحذية (٣٩).

وقد ذكر الازدي أنه كان للحر بن يوسف(***) فنادق فقد سماها بعض المختصين النزل، وقد كان التاجر يستطيع أن يودع امواله وبضائعه وحيواناته في فندق وغالباً ما كانت هذه الخانات والفنادق قريبة من الأسواق لتسهيل نقل البضائع منها وإليها (٤٠).

ويمكن أن نجمل التطورات التي أصاب الأسواق منذ الفتح الاسلامي حتى العصر العباسي ثلاثة مظاهر رئيسة:

١- المظهر الاول: بناء الاسواق وتغطيتها بهيئة معمارية معينة وهذا بالتالي يؤدي إلى وجود حوانيت للتجارة ومساكن تعلوها.
٢- المظهر الثاني: أن هذا التطور أقر مبدأ تأجر البناء التجاري وأصبحت الاسواق في المؤسسات التي تفرض الدولة عليها الضرائب.
٣- المظهر الثالث: فيتحدد في تصنيف التجار وأصحاب الحرف والمهن في مجموعات متخصصة من التجارات والصنايع ومواضع هذه التجارات والحرف[٤١].

د- التخصص في أسواق المشرق الاسلامي في العصر العباسي

وصف أسواق العراق في هذا العصر يحقق غايتين: إذ يبين أهمية التجارة في حياة البلاد الاقتصادية من جهة، ويعطي فكرة عن التوزيع الجغرافي لاهم المجتمعات التجارية من جهة أخرى [٤٢] إذ كانت الاسواق جزءاً حيوياً هاماً في المدن [٤٣] .

أسواق بغداد(*)

عندما وضعت خطط بغداد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. والتي كانت تعد بغداد ملتقى التجار في العصر الساساني [٤٤]، وصارت بعد أن مصرت من قبل الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨/ ٧٥٣- ٧٧٤م) المركز التجاري العظيم للتجارة الداخلية، فدجلة والفرات تصل بينها وبين الطرق البحرية في الجنوب، وبينها وبين ارمينية والشام(**) في الشمال والغرب، في حين أن طريق خراسان جعلها مركزا لتجارة إيران واواسط اسيا [٤٥].

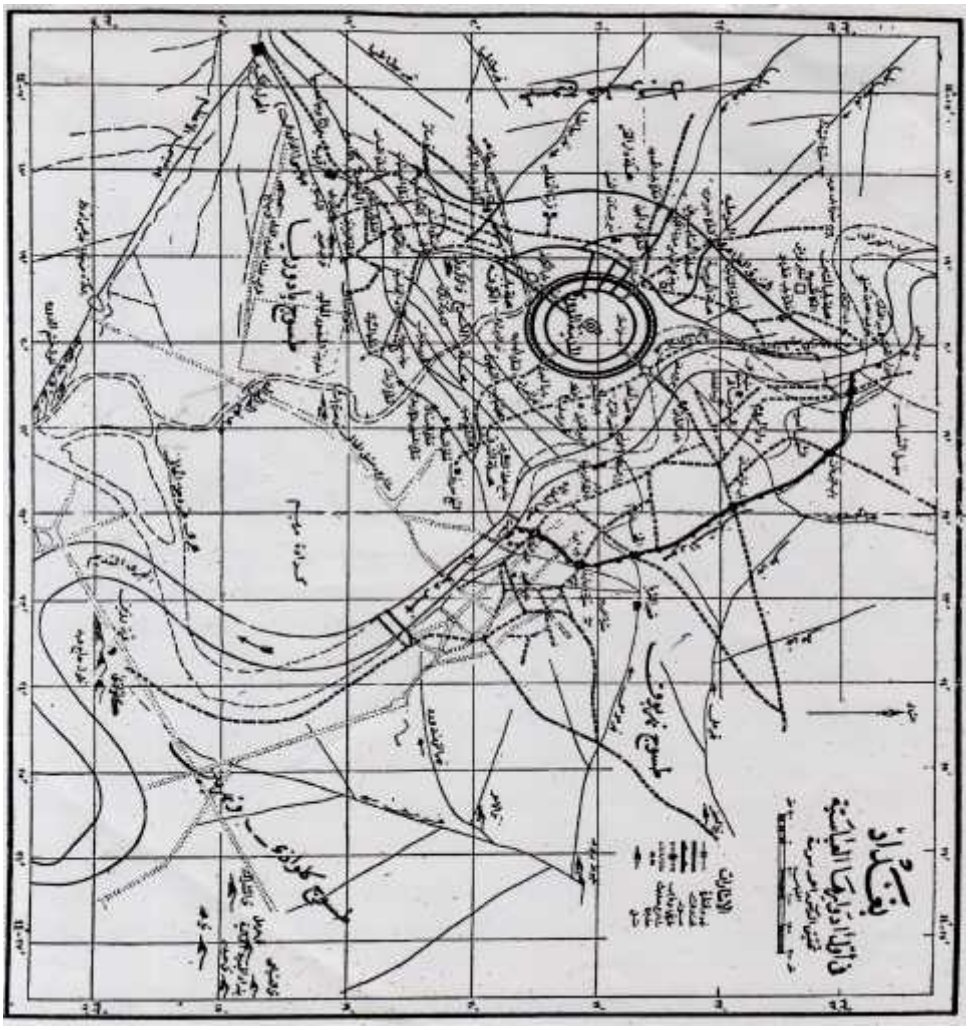

خارطة (١) بغداد في أول أدوارها العباسية

عن كتاب دليل خارطة بغداد للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة، طبع المجمع العراقي سنة ١٩٥٨

هذا الدور التجاري المهم يوضح لنا كثرة أسواقها (السوق العظمى) في بغداد هي الكرخ(*) فهي معدن التجار [٤٦] وتحت هذا المعنى أشار اليعقوبي قائلاً: "والكرخ سوق العظمى مادة من قصر وضاح (**) إلى سوق الثلاثاء طولا بمقدار فرسخين"[٤٧]. وعلى جانبي درب باب الكرخ تمتد اسواق مهمة وهناك اسواق واسعة لكل أنواع التجارات في محلة باب البصرة [٤٨] واسواق اخرى في درب باب المحول حيث كانت السفن القادمة من الفرات تلقي بحمولتها [٤٩].

ومن الأسواق الاخرى في بغداد هي سوق باب الشام "سوق عظيمة لجمع التجارات والبياعات"[٥٠]. وتقع في محلة الحربية مركز التجار الاجانب، وتمتد هذه السوق في شارع عظيم، فتفرع منه إلى الجوانب دروب طوال، وفي كل درب أهل بلد من البلدان يطلق اسمهم عليه. ومن تجار هذا السوق، أهل بلخ (***) واهل مرو(****)، واهل ختل (*****)، واهل بخارى(******)،واهل كابل شاه(*******)،واهل خوازم(********)."ولكل اهل بلد قائد ورئيس"[٥١].

ومن أسواق بغداد كذلك الحي التجاري الرئيس الذي يقع في الجانب الشرقي من بغداد ويسمى (باب الطاق) في طرف الجسر المركزي [٥٢] ومن ساحة هذا الجسر تتفرع سوقان: (سوق الاساكفة) (سوق الطيب) حيث تباع العطور والزهور [٥٣] ووراء هذين السوقين تمتد (سوق الطعام) وفيها جوانب للخبازين والقصابين وسوق الصاغة الذي يقع قبل بناية فخمة وهناك سوق الوراقين [٥٤].

في حين إن سوق الغنم كانت قرب باب المخرم على ضفة نهر برطاطيا، وفي سوق خضير كانت تباع ضرائب الصين، وتقع هذه السوق قرب الجسر الاعلى [٥٥]. ومن الجدير بالذكر فإن جميع أصناف البضائع كانت تباع في سوق الرصافة [٥٦].

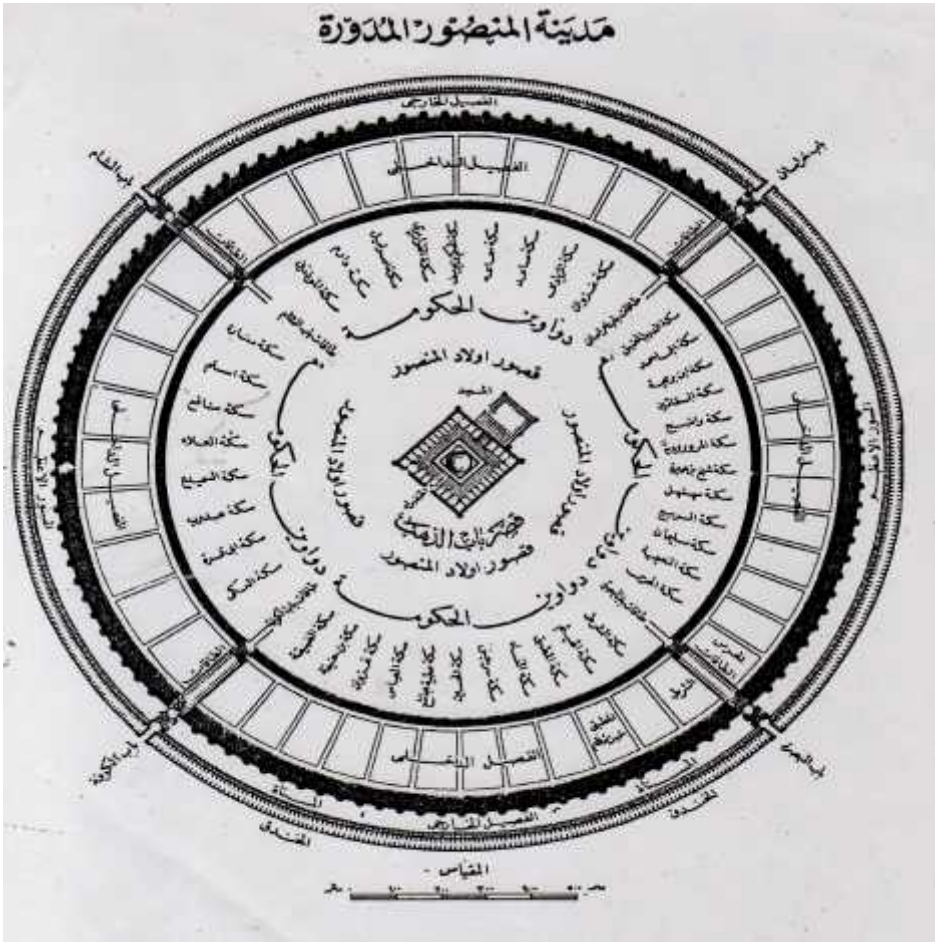

خارطة (٢)

مدينة المنصور المدورة وأبوابها

عن كتاب دليل خارطة بغداد للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة

وكان "لكل تجار وتجارة (في الكرخ) شوارع معلومة، وصفوف في تلك الشوارع وحوانيت وعراص[*]، وليس يختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة، ولايباع صنف من غير صنفه، ولا يختلط اصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم، وكل سوق مفردة، وكل أهل مفردون بتجاراتهم[٥٧]. ومن أسواق الكرخ المنفردة، "سوق البطيخ والفواكه"[٥٨]، وسوق البزازين لبيع الاقمشة، وسوق الطعام [٥٩] وسوق العطارين [٦٠]، وسوق الصرافين[٦١] وسوق أو دار القطن [٦٢] وسوق الوراقين التي كانت تحوي حوالي سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م ما ينوف على مائة مكتبة[٦٣]. فقد تعددت التعديلات في مجال الاسواق المتخصصة وازدادت وضوحاً في العصر العباسي إذ نمت الحياة المدنية، وأصبح تخصص الاسواق ظاهرة ومنها تتناسب مع التطورات الكبيرة في الحياة الاقتصادية لهذا العصر ولم تزودنا المصادر بمعلومات عن اسواق متخصصة في مدينة المنصور المدورة [٦٤]، ولكن عندما توسعت بغداد أصبحت المركز الرئيسي للحياة الاقتصادية في الدولة العربية الاسلامية وازداد عدد سكانها وارتفع مستوى المعيشة عندئذ أصبحت الاسواق منظمة وأدى ذلك إلى تخصص في العمل وإلى ازدهار الصناعة والتجارة، فأصبح لكل تاجر وتجارة شوارع معلومة، ولا يختلط أصحاب المهن بغيرهم [٦٥] وأصبح كل سوق مفردة، وكل أهل تجارة منفردة بتجارتهم.

٢- أسواق سامراء:

بلغت سامراء أوج الازدهار خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حيث كانت عاصمة للدولة العباسية، إلا إن عامة تجارها كانوا عراقيين، وكانت تجارتها داخلية [٦٦]. ولما جاء القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي قلت أهميتها التجارية وكانت المدن بصورة عامة أسواقاً لما يحيط بها من قرى وأرياف، فهي مخازن لانتاجها ومراكز تبيع ما نحتاج إليه من مواد. وكان القرويون يأتون إلى الأسواق الاعتيادية، أو يحضرون إلى أسواق تعقد في أيام خاصة من الاسبوع[٦٧].

ونظراً لأن سامراء أصبحت عاصمة للخلافة العباسية فقد بادر الخليفة المعتصم (٢١٨- ٢٢٧هـ/ ٨٣٣- ٨٤١م) إلى جلب أصحاب الحرف والعمال والحدادين والنجارين وسائر الصناعات [٦٨]. إلى سامراء لغرض بناء مركز خلافته. وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر، وحمل من الكوفة من يعمل الادهان، "ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة وجعل هناك اسواقاً لاهل المهن بالمدينة"[٦٩]. وجعل اهل كل مهنة لا يختلطون بغيرهم وجعلت كل تجارة منفردة كما في أسواق بغداد [٧٠].

من خلال مما تقدم يبدو أن التخصص أصبح واضحاً في تنظيم اسواق بغداد وسامراء حتى اصبح هذا الطابع العام لجميع مدن الدولة العربية الإسلامية، فضلاً عن أنني وجدت ظاهرة التخصص الاسواق منذ وقت مبكر من قيام الدولة الاسلامية، فقد كانت اسواق فارس وما وراء النهر[*] بشكل يرتبط فيها جانب التخصص فكان أصحاب الجوانب وأصحاب المهن بصورة عامة يتجمعون في مكان واحد من السوق والتجارة وشارع مستقل [٧١]. كذلك يمكن ملاحظة ظاهرة التخصص لبيع أنواع محددة من المنتوجات والصناعات أو البضائع العامة، من ذلك أن في جرجان[**] سوق للسماكين[٧٢]، وفي ارمية[***] سوق للبزازين وكذلك في تستر[****]. وفي ارجان سوق للحنطة وفي الري دار للبطيخ نستخلص مما يأتي أنه روعي التخصص في الاسواق في كافة أنحاء الدول العربية الاسلامية ورتبت الاسواق فيها على أساس التخصص الحرفي وينطبق هذا النمط في مدن العربية كافة وفي بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر [٧٣].

٣- الاسواق الجامعة في المشرق الاسلامي (العراق، بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر)

نستطيع أن نقول أنه في كل مدن الدولة العربية الاسلامية بشكل عام والمشرق الاسلامي بشكل خاص، وجدت أسواق جامعة تباع فيها مختلف البضائع، فمثلاً وجدت في البصرة سوق كبيرة تباع فيه أنواع السلع وكذلك الحال في الكوفة وجدت سوق رئيس فيه عدد

كبير من التجار الذين كانت تجارتهم متنوعة، وفي واسط حيث شيد الحجاج بن يوسف الثقفي سوقاً جامعة، كانت تمتد من دار الإمارة التي تقع في وسط المدينة حتى شاطئ نهر دجلة شرقاً. أما بغداد فقد وجدت فيها عدة أسواق جامعة في داخل المدينة المدورة، وكذلك الحال في كل من الكرخ والرصافة، وفي مدينة سامراء والموصل وبقية أقاليم الدولة الأخرى(٧٤).

ولقد شهدت بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر وجود الاسواق الجامعة، إذ سوق ارجان كانت تحتوي على كل انواع المنتجات حتى اعتبرت خزانة فارس والعراق، وقد ضمت مختلف انواع الاسواق وكانت احسن هذه الاسواق سوق الحنطة وسوق البزازين، والذي يصفه المقدسي بأنه كان على شاكلة سوق سجستان (٧٥)، وبالمقابل فقد كانت سيراف ببضائعها وما احتوته اسواقها "خزانة فارس وخراسان"(٧٦). وقد اعتبرت السوق الاعظم لفارس (٧٧) فبواسطتها كانت تمر صادرات فارس وواردتها، وكانت فرضه(*) لبضائع الصين خاص (٧٨)، ويذكر ابن البلخي أن دكاكين سوق العطارين بسيراف كانت مليئة بالزهور والكافور والصندل الخشبي وما شابه ذلك، وأن احوالها الاقتصادية بقيت مزدهرة إلى أواخر الحكم البويهي (٧٩).

أصطخر فكانت بدورها تضم عدة أسواق جامعة حيث يجد الشاري كل أنواع البضائع(٨٠)، وكانت أسواق كثه معروفة في عمارتها (٨١).

خارطة (٣)

تبين مدن المشرق الإسلامي

عن كتاب زعين من فاصب سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية

المطلب الثاني

الأسعار والاحتكار وتأثيرها على أصحاب السوق والحياة السياسية في المشرق الإسلامي

أ- الزيادة المطردة في أسعار السلع وتأثيرها على الحياة السياسية

١- المؤثرات السياسية:

من أجل أن ندرك الأهمية الاجتماعية للنظام الاقتصادي ينبغي علينا أن نعطي فكرة عن الأسعار السائدة في أسواق بغداد.

فلقد شهدت أسواق بغداد حالات متعددة ارتفعت فيها أسعار السلع وكان للمؤثرات السياسية أثر كبير في ذلك. فكثير ما كانت العاصمة تتعرض لموجات من الفتن والاضطرابات والثورات [٨٢] مما يؤدي إلى وقوع السلب والنهب، فتعطل الاسواق، وتزداد أحوال العامة سواءً حتى تصل إلى حد المجاعة، وأكل لحوم الحيوانات المحرمة والجيف [٨٣].

كما تأثرت الأسعار بوفرة الانتاج وقلته ونظام الري وبالافات الزراعية التي كانت تحل بالبلاد والفيضانات والظواهر الطبيعية واحتكار التجار لبعض المواد الغذائية التي بدورها تؤدي إلى ارتفاع الاسعار بصورة مباشرة [٨٤].

وتظهر أول الاشارات إلى ارتفاع الأسعار في زمن الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٧-٨٠٨م) وتحت هذا المعنى أشار الابشيهي قائلاً "للناس غلاء سعر وضيق الحال حتى اشتد الكرب على الناس اشتداد عظيماً"[٨٥].

وإزاء هذه الضائقة المستعصية لم يتخذ الخليفة اجراءاً جذرياً حاسماً، وإنما اكتفى بأن طلب من الناس الدعاء والبكاء. لعل الله يزيح هذه الغمة عنهم [٨٦] في حين كان بعض الخلفاء يعالجون ظاهرة ارتفاع الأسعار بأن يتصدقوا من أموالهم تفادياً لمثل هذه الأزمات [٨٧]، كذلك نجد أن ظاهرة ارتفاع الأسعار تجددت عندما تسلط الاتراك على الخلافة العباسية في القرن

الثالث الهجري/ التاسع الميلادي إذ ارتبكت الحياة الاقتصادية، وأضر هذا بأهل الاسواق بصورة مباشرة، ورافق ذلك ارتفاع الاسعار دون وجود ما يشعر بارتفاع مقابل في الاجور(٨٨). وظهرت تيارات اجتماعية تدعو باسم الدين للاصلاح (٨٩).

من جانب آخر فقد استفحل أمر العيارين(*) والشطار، ونما جمعهم وتكاثر عددهم حتى اصبحوا وبالا كبيرا، وعبئاً ثقيلاً على الناس وكان هؤلاء يستفادون من الغنى والاضطرابات، فيقومون بنهب المنازل والاسواق (٩٠). وقد كان لهؤلاء دوراً خطيراً ابان الحرب بين الأمين والمأمون (٩١)، وفي زمن الخليفة المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢هـ/ ٨٦٢-٨٦٦م)(٩٢)، وكانوا يزدادون قوة كلما ازدادت الدولة العباسية ضعفاً، واشتد عدوانهم على اسواق بغداد كلما تكاثرت الفتن في العاصمة (٩٣).

ويذكر ابن الاثير أنه في سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م "غلا السعر بالعراق حتى بلغ القفيز من الحنطة بالهاروني أربعين درهما إلى خمسين"(٩٤)، ولعل ذلك كان بسبب كثرة الفتن والاضطرابات التي شملت العراق من جراء قتل الخليفة الامين(٩٥).

وتعرض سكان بغداد وتجارها لازمة اقتصادية شديدة أثناء احتدام الصراع بين الخليفة المستعين المقيم ببغداد، وبين منافسة المعتز بالله الذي حاصر جنده بغداد فشحت البضائع الواردة على أسواقها وارتفعت أسعار الموجودة منها حتى أصبح قفيز(**) الحنطة بمائة درهم(٩٦). وتكررت أزمة الغلاء سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م "وارتفع السعر ببغداد فبلغ كر(***) الشعير عشرين ومائة دينار. والحنطة خمسين ومائة، ودام ذلك شهوراً"(٩٧). وشحت المواد الغذائية وارتفعت أسعارها في العراق والموصل والحجاز والجزيرة والشام سنة ٢٦٦هـ/ ٨٧٩م. ويعزو ابن الاثير تلك الحالة إلى تغلب القواد والامراء وامراء الاجناد على الامر . وانشغال الموقف بقتال صاحب الزنج (٩٨).

وروعت بغداد سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م على أثر وصول فلول جيش الخلافة المنهزم أمام القرامطة، مما دعا الناس إلى الانحدار إلى واسط [٩٩] ومما زاد الأمر سوءاً عبث العياديين الذين انتهزوا فرصة انشغال السلطة بدرء خطر القرمطي الذي اقترب من بغداد، ففتكوا بها لولا أن الوزير[*] أوعز لصاحب الشرطة (نازوك) بالطواف بشوارع العامة واسواقها ليلاً ونهاراً [١٠٠].

وتعرض سكان بغداد في سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م لازمة جديدة خانقة اضطرتهم أن يسخموا وجوههم ويصيحوا: " الجوع الجوع! للغلاء، لأن القرمطي ومؤنسا[**] منعوا الجلب"[١٠١]، من الواضح ان استيلاء قائد الجيش (مؤنس المظفر) على مدينة الموصل قد أثر تأثيراً كبيراً يمكن بعض السلع المعروضة في أسواق بغداد، ومن المؤكد أن شح هذه المواد أدى إلى ارتفاع أسعارها في أسواق بغداد، فضلاً عن التجار عندما بلغهم أنصار مؤنس واستيلاءه على الموصل وتثيب وما ولاها استغلوا هذا الطارئ فاحتكروا ما كان عندهم من سلع آملين أن يبيعوها بأسعار مرتفعة [١٠٢] .

يتضح من النصوص السابقة أن الحياة السياسية التي عاشتها بغداد خاصة والدولة العربية الاسلامية بصورة عامة أثرت بشكل كبير على الحياة الاقتصادية والاسواق بشكل مباشر فاصبح الغلاء وزيادة الاسعار مصدر وفزع شديد لدى عامة الناس وهذا مما يؤدي إلى حصول حالات شغب، ففي سنة ٣٢٤- ٩٣٥هـ وتجدد "شغب العامة لغلاء السعر" ووقعت بينهم وبين الجند مناوشات بباب الطاق، كما ارتفع السعر سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٧م [١٠٣]، في حين بلغ سعر الكر من الدقيق مائة وستين ديناراً سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م [١٠٤]، كما إن تجاوزات الجند واعتداءاتهم كانت من جملة الأسباب التي أدت إلى غلاء السعر بحيث مات الناس جوعاً[١٠٥] واستمرت هذه الحالة على هذه الدرجة من الخطورة حتى انفرجت الازمة بعض الشيء، إذ كثر الجراد فانتفع الفقراء من صيده واكله، فسد به رمقهم[١٠٦].

ولما هرب الخليفة المتقي بالله (٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠- ٩٤٤م) إلى الموصل مع محمد بن رائق[*] من جراء الضغط الذي تعرضت له العاصمة من قبل جيش البريدي سنة ٣٣٠هـ-٩٤١م، ارتفعت الاسعار وبلغ كر الدقيق ثلاث مئة دينار [١٠٧].

وبعد أن تمت للبريدي السيطرة على بغداد "جعل على كل سحر من الحنطة والشعير وأضاف الحبوب خمسة دنانير، وغلت الأسعار فبيع كر الحنطة بثلاثمائة وستة عشر ديناراً، والخبر الخشكار[**] رطلان بقيراط"[١٠٨] ونكابة بآل البريدي منع أمير الموصل تصدير الحبوب إلى بغداد فارتفعت الأسعار حينذاك[١٠٩].

وفي سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م "غلت الأسعار حتى أكل الناس من الكلاب ووقع البلاء فيهم، ووفى الجراء بصورة كثيرة وهؤلاء، حتى بيع منه كل خمسين رطل بدرهم فارتفق الناس من الغلاء"[١١٠]، وتكرر حدوث الغلاء في سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م [١١١] "حتى بلغ القفيز الواحد من الدقيق الخشكار بنيف وستين درهما، والخبز الخشكار ثلاثة أرطال بدرهم..."[١١٢].

واستمرت موجة الغلاء تعصف بمدن العراق بصورة عامة وببغداد بصورة خاصة، ففي سنة ٣٣٤هـ/ ٣٤٥م اشتد الغلاء ببغداد وبيع المكوك من الحنطة بخمسة وعشرين درهماً ثم بيع كر الحنطة بعشرة الاف درهم [١١٣]. فأكل الناس الميتة والجيف واثمار الشوك، فلحق الناس امراض وأورام وكثرة الموت فيهم حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانت الكلاب تأكل لحومهم [١١٤].

ولقد شهدت بلاد فارس هي الأخرى موجات غلاء ادت إلى حصول المجاعة سنة ٣٢٣- ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، ويشير ابن الجوزي أنه توفي بسبب تلك المجاعة ٣٠٠ الف انسان باصبهان [١١٥]. ويذكر ابن الاثير أنه بسبب الغلاء مات من أهل خراسان خلق كثير من الجوع[١١٦]. وتكرر الامر خلال لازمة ٣٢٩- ٣٣٠هـ/ ٩٤٠- ٩٤١م فاشتد الغلاء وعمت المجاعة حتى اكل الناس النخالة والحشيش وكثر الموت ورخصت العقارات والاثاث والقماش

حتى يبيع ما ثمنه دنانير بدرهم [١١٧]. ففي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م زاد الغلاء وبلغ كر الحنطة٢١٠ دنانير ثم ارتفع إلى ٣١٦ دينار واكل الضعفاء الميتة ودام الغلاء وكثر الموت [١١٨]، ويشير الهمداني وابن الجوزي إلى موجة غلاء جديدة من سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م[١١٩]. أما في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م فقد أدت موجة الغلاء إلى تعطيل الحياة العامة لقلة الناس [١٢٠]. عشيه السيطرة البويهية كانت أحوال الخلافة العباسية قد وصلت إلى درجة كبيرة من التدهور فسلطة الخليفة لم تتوقف عن التقلص التدريجي والفوضى الداخلية ثم وحركات التمرد (والاستقلال) تنتشر في مقاطعات الدولة، وإطماع البيزنطيين لا تجد من يقف بوجهها، ويرافق كل ذلك موجات من الغلاء للأوضاع الاقتصادية لا يوازيها سوى احوال السكان الذين كانوا يعانون من نتائج هذه الاحوال. لقد كان الجميع خليفة وسكاناً بانتظار من ينقذهم من هذه الاوضاع. وعندما دخل احمد البويهي[*] بغداد دون مقاومة تذكر ظنه الجميع أنه سينقذهم من هذا كله لكن ظنهم لم يكن في محله [١٢١] . إلا إننا نجد إن بلاد فارس عاشت ازدهار اقتصادي خلال العصر البويهي، وفي كافة المجالات ساهم في تجنب المقاطعة موجات الغلاء والمجاعة التي عصفت بالعراق[١٢٢]، إذ لم تعرف فارس موجة غلاء حقيقية إلا في سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥. وهي السنة التي استولى فيها السلاجقة على العراق. فارتفعت فيها أسعار المواد الغذائية بصورة كبيرة خاصة في العراق[١٢٣]. قبل ذلك عرفت ارجان موجة غلاء عابرة بسبب الحرب التي شهدتها بين صمصام الدولة وبهاء الدولة [١٢٤].

ومن الجدير بالذكر فإن الازدهار الاقتصادي كان أحد الاسباب عدم انتشار حركة العيارين وعصابات اللصوص في فارس، إذ كان وراء ظهور تلك الحركات في اواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث/ القرن التاسع الميلادي أوضاع الفئات الدنيا من المجتمع، التي ازدادت ابان العهد البويهي نتيجة شدة الازمات الاقتصادية التي عرفها العراق انذاك، واضطراب الاحوال الاجتماعية، وفيما بعد دخل العيارون طرفا في الصرعات الدينية والسياسية القائمة، مشكلين في الوقت نفسه عنصراً أساساً من عناصر الصراع الداخلي، إذ أدت الفتن

والاضطرابات واعمال القتل والنهب التي قاموا بها وبصورة متواصلة خلال هذه المرحلة، في دفع الوضع الاقتصادي لمزيد من التدهور. إذ كانت اعمال العيارين تصيب بالدرجة الاولى الاغنياء والتجار، وكان ميدانها الاساس الأسواق التجارية [١٢٥]. ولم تكن هذه الحركة محصورة بالعراق وأسواقها، بل إنها كانت موجودة في مختلف مدن إيران، ما عدا فارس التي لم تعرف أي وجود لهم داخلها طوال العهد البويهي [١٢٦].

٢- الظروف الطبيعية:

مما لاشك فيه فإن ارتفاع الاسعار عن معدلاتها الطبيعية التي بيناه قد تكون مقرونة بسوء الظروف الطبيعية حيث ينتاب البلاد جفاف شديد، يعقبه قلة انتاج في الغلال المعروفة في الاسواق في الوقت الذي يزداد الطلب عليها، الامر الذي يؤدي إلى ارتفاع اسعارها. وبهذا نرى أن للظواهر الطبيعية تأثيرها الكبير على ارتفاع الاسعار باسواق المشرق الإسلامي، ونستطيع أن ندرك شدة وطأتها، وما كان الناس يلاقونه من ظنك العيش، حتى أنه ربطوا زيادة الاسعار بتحرك النجوم والكواكب وراقبوها لهذا الغرض [١٢٧]، لكن تلك التنبؤات على غرابتها وببساطتها كان التجار يستفيدون منها، إذ أنها تدفع التجار إلى احتكار السلع التي يتوقعون ارتفاع اسعارها[١٢٨]. من القراءات المتأنية للنصوص السابقة نستطيع القول أن التجار بصورة عامة وأهالي بغداد بشكل خاص كان لهم حذق وقوة الملاحظة لما مرت عليهم من نكبات وظروف سياسية وقلاقل وفتن وكثرة الطامعين من الغزاة في اقتصادهم أصبح لديهم خبرة كافية يستطيعون من خلالها اتخاذ واستنباط الاجراءات التي تكفل الاستفادة من الظواهر الطبيعية والسياسية وتسخيرها لصالحهم. لزيادة ارباحهم باحتكار بعض الأصناف من الأغذية لحين شحتها في الأسواق.

ومن الظروف الطبيعية التي أثرت على الأسواق نذكر أنه في سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م "كان المد الذي غرق منه السواد[*] وكسكر [**] وقطيعة أم جعفر وقطيعة العباس وذهب

بأكثرها"[١٢٩]. وفي سنة ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م احترقت أسواق الكرخ/ وأصيب التجار بأضرار بليغة إلا إن الخليفة المعتصم بالله عوضهم بأن قدم لهم معونة قدرها عشرة ملايين درهم [١٣٠].

وفي عهد الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢- ٢٤٧هـ/ ٨٤٦- ٢٦١م) هبت عاصفة على بغداد وشملت منطقة السواد فألحقت أضرار بالغة في الزرع والماشية، الامر الذي أدى إلى قلة المواد الغذائية الواردة على اسواق العاصمة فارتفعت اسواقها[١٣١]. وفي سنة ٢٧٠هـ/ ٨٨٣م انبثق ببغداد نهر عيسى [***] فغمر الماء جانب الكرخ فهدم سبعة الاف دار، ولابد أن امتدت اضرار هذا الشق إلى أسواق الكرخ واتلفت السلع التجارية المعروضة فيها [١٣٢].

وشهدت اسواق بغداد ارتفاعاً باسعارها نظراً لقلة الامطار وتأخر هطولها بالعراق سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م [١٣٣]، وقد تكررت هذه الظاهرة سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، فشحت الغلال الزراعية مما أدى إلى ارتفاع الاسعار، فتعذر على الطبقة الفقيرة أن تجد ما يسد رمقها بسهولة [١٣٤].

ومن الظواهر الطبيعية التي اسهمت في ارتفاع الاسعار واثرت على ظروف مدن العراق ومن ضمنها بغداد ما دون في سنتي (٢٩٩- ٣٠٥هـ/٩١١-٩١٧م) موجتين من البرد الشديد، رافقتهما سقوط ثلج كثير، فقتل عدداً كثير من الحيوانات البرية [١٣٥] وفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م "وقع حريق في سوق النجارين بباب الشام واحترق"[١٣٦]. ومن جراء الفيضانات الذي حدث بنهر دجلة سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م حصل سبعة عشر ثقبا قرب واسط، اغرقت مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والقرى[١٣٧].في حين سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م شحت الامطار حتى سميت تلك السنة سنة الحبس[١٣٨]. ومن الحوادث التي أثرت على اقتصاد وأسواق مدن العراق بصورة عامة وبغداد بصورة خاصة هو ما تعرضت العامة لحادثة حريق ذهب ضحيتها كثير من الانفس والبضائع والممتلكات [١٣٩]. وفي شوال من سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م تعرضت بغداد لموجة شديدة من البرد اعقبها هبوط ثلج بكميات كبيرة، الامر الذي ادى الى تلف اكثر نخيل وبغداد وسوادها، كما أصاب الاشجار المثمرة باضرار بالغة [١٤٠] كما إن

سقوط الثلج بهذه الكميات الكبيرة أدى بدوره إلى ارتفاع منسوب نهر دجلة فحدثت فيضانات مدمرة [١٤١]، ويمكن تعليل ذلك نظراً لاهمال صيانة السدود من جراء الفتن والاضطرابات وفساد الادارة [١٤٢]. ويبدو أن الكوارث الطبيعية والمتمثلة بفيضانات الرافدين اجتمعت متوالية إذ ازدادت مياه نهري دجلة والفرات زيادة مفرطة في سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م فأغرقت بالتالي المزارع والقرى وكذلك قطعت الجسور ببغداد، وادت إلى غرق كثير من الناس فضلاً عن الاضرار المادية الأخرى [١٤٣]. وبلغت زيادة نهر الفرات أثني عشر ذراعاً وثلثين [١٤٤].

ومن الجدير بالذكر، إننا نجد الظواهر الطبيعية المتناقضة تتوالي في سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، ففي الوقت الذي يزداد سقوط الثلج شتاء [١٤٥] ويؤدي إلى أضرار كثيرة، نجده مياه دجلة تنخفض في الصيف، مما أدى إلى قلة الضلال الصيفية وارتفاع اسعارها [١٤٦]. من جانب اخر نجد أن الاسعار في اسواق بغداد زادت في اعقاب الحرائق مدمرة بين فترات متقاربة مما جعل النيران تلتهم كميات كبيرة من السلع فيقل المعروض فيزداد الطلب عليها بالتالي، ففي سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م شب حريق في اسواق العاصمة واحدث اضرار كبيرة وفي سنة ٣٣٣هـ/ ٩٣٤م وقع بالكرخ حريق عظيم، احرق دكاكين العطارين والصيدلة واصحاب الدهون والخرازين والجوهرين [١٤٧]. وذكر الهمداني أن السنة النيران احرقت ثمانية واربعين حفاً من أسواق العاصمة[١٤٨]. كما تعرضت بغداد للغرق سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م فشحت السلع وارتفعت اسعارها[١٤٩]، حيث شهدت سنة ٣٢٩هـ/ ٣٤٠هـ قلة سقوط الأمطار مما أدى بالتالي إلى تلف الزرع فضلاً عن أثر الجراد مما سبب في قلة المحاصيل والغلاء[١٥٠]. ونتيجة لقسوة الظروف الطبيعية، وتعرض مدن العراق لموجات العنف والاضطرابات والارتفاع الكبير في الاسعار مما أدى إلى بروز التفاوت الاجتماعي الكبير بين المجتمع في العراق، إذ تكونت الثروة بايدي طبقة محدودة العدد في الوقت نجد إن دخل العامل اليومي الذي يشتغل بخرط الزجاج لا يتجاوز درهما ونصف [١٥١].

يتضح مما تقدم من الأمثلة أن الظواهر الطبيعية كان لها أثرها السيء على الحياة الاقتصادية في العراق مما أثر على ارتفاع الأسعار في الأسواق وحدوث حالات كثيرة من الوفيات بسبب المجاعات التي أصابت فئات المجتمع المعدمة والفقيرة .

أما في فارس وبلاد ما وراء النهر، فإنها لم تتعرض كثير من الكوارث الطبيعية التي كثيراً ما أصابت المقاطعات الاخرى [١٥٢]. وكان ما يعتبر كارثة طبيعية: الزلازل، الرياح الشديدة، شدة المطر، وسقوط الثلج باحجام كبيرة، مما يؤدي إلى خسائر بشرية واقتصادية في الانشاءات والزرع، وبسبب موجات من الغلاء الشديد، فضلاً عن الاوبئة التي لا علاج لها، كالجدري والخوانيق وغيرها، مما يؤدي إلى وفاة المئات والالاف من السكان.

في سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م أدى تأخر المطر إلى اضرار بالزرع في نواحي فارس وارجان [١٥٣]. وفي سنة ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م اصابت موجة من وباء الخوانق الذي كان منتشراً ببغداد والموصل بعض نواحي فارس فمات بسببه عدد من السكان [١٥٤]. إلا عن كل ما ذكرناه لا يعتبر سوى شيء بسيط أمام ما كان يصيب المدن والمناطق الاخرى[١٥٥]، ومن هذه الظروف الطبيعية نذكر أن سيراف قد أصيبت سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م بزلازل كبيرة اجبر سكانها بالهرب إلى شاطئ البحر، وتهدمت اكثر الدور فيها وتزعزعت لكن المدينة في هذا الوقت كانت تعيش اوج ازدهارها الاقتصادي، وسرعان ما اعيد تعمير ما تهدم فيها حتى عادت إلى ما كانت عليه في سابق [١٥٦]، وفي سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م ادت هزة خفيفة إلى اغراق عدة مراكب بسيراف وتهدم جزء من البلد [١٥٧]، وفي سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م وقعت هزة اخرى بارجان تسبب ببعض الدمار [١٥٨].

ب- الاحتكار:

لقد حرمت الشريعة الاسلامية منذ البداية الاحتكار، والمضاربة في مواد الطعام[١٥٩]، واتبعت الدولة العباسية مبدأ حرية التجارة، ولم تقيد نقل السلع بين مختلف أقاليم الدولة ، ولم

تحتكر تجارة أية بضاعة أو تمنع مبادلتها ما دام تداولها لا يتعارض مع مبادئ الدين، وعلى الرغم من أن احتكار المواد وتأخير بيعها، حتى يرتفع السعر، كان محظوراً شرعاً [١٦٠]. لكن التجار اهملوا هذا القيد، وصار للاحتكار دور هام في الاحوال التجارية [١٦١]. وكان التجار بأسواق بغداد يتعرضون لشراء الغلال والسلع بما يفرضون لها من الثمن البخس، ثم يبيعونها باسعار مرتفعة وتمتع قسم من تجار العراق بحذق كبير في إدارة أعمالهم، فكانوا يتحينون الفرص ويقدمون على شراء كل ما هو في أسواق العاصمة من بضاعة ما، ثم يحتكرونها، وبعدئذ يتحكمون في السعر الذي يروق لهم، وكانوا يحققون من وراء ذلك أرباحاً طائلة [١٦٢].

وفي سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م احتكر تجار بغداد المواد الغذائية التي كانت تباع باسواق العاصمة، مما أدى إلى ندرتها في تلك الاسواق، ومن ثم زيادة اسعارها زيادة كبيرة؛ بحيث تعذر على أفراد الطبقة الفقيرة الحصول على قوت يومهم فضجوا في الاسواق واحدثوا شغباً متصلا وتطاولوا على الوزير ورجموه وكادوا أن يفتكوا به لولا أن الخليفة أوعز لصاحب الشرطة وقائد الجيش بضرورة المحافظة على الأمن والطمأنينة وضمان سلامة الوزير، وفي نفس الوقت اجبر التجار على فتح دكاكينهم حتى يتسنى للناس شراء ما يحتاجون إليه [١٦٣].

ومن الجدير بالذكر فقد احتكرت الدولة العباسية الطرز[١٦٤] كما كانت طواحين بغداد احتكاراً للسلطان [١٦٥] وكذلك أجرة الدور التي يعمل فيها ماء الورد [١٦٦] وضرب النقود، أما عدا ذلك من السلع فقد ترك للناس حرية المتاجرة فيه. وقد حذر ابن خلدون من اشتغال رجال الدولة التجارة واعتبر أقدامهم على ذلك، اضراراً بالمصلحة العامة، وتشير النصوص أن الخليفة المنصور كان قد عزل وزيره (أبا ايوب سليمان بن مخلد المورياني) لأنه كان يشتغل بالتجارة إذ كان يشتري الطعام على أمل الربح [١٦٧]، إلا ان الخلفاء بعد المنصور تهاونوا في محاسبة كتاب الدواوين مما جعلهم يمارسون التجارة والاحتكار في اسواق العامة بلاخوف ولا وجل ومن الامثلة على ذلك أن علي بن عيسى كان له غلال معروضة بسوق الطعام [١٦٨]. أما علي بن

الفرات كاتب ديوان الخراج والضياع [١٦٩]، فقد كانت لديه بسوق الطعام وعند الباعة اضعاف ما كان قد اخبر به الوزير العباسي ابن الحسن [١٧٠]. يتضح مما تقدم إن كتاب الدواوين كانوا يمارسون الاحتكار في الاسواق بما يملكون من نفوذ وجاه وسطوة وغلال كثيرة، الأمر الذي يؤدي على ارتفاع ثمنها كثيراً لتدر عليهم الارباح الطائلة وفي نفس الوقت كان يؤدي ذلك أضراراً بالمصلحة العامة الامر الذي يؤدي إلى أن العامة تتضور جوعاً.

ولقد مارس احتكار مواد الطعام الوزير حامد بن العباس سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م[١٧١]، ومما زاد الامر سوءاً أن الاحتكار لم يقتصر على الوزير إنما مارس هذا الامر بعض افراد الحاشية ومنهم أم الخليفة واولاده وبعض الأمراء [١٧٢]. مما أدى إلى ندرة مواد الطعام في أسواق العاصمة ومن ثم ارتفاع اسعارها، مما حدا بعامة الناس بشن غارات متلاحقة على المحتكرين ونهبوبهم [١٧٣].

وفي سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م ضمن الوزير حامد بن العباس خراج العراق وعربستان وأصفهان، فارتفعت الاسعار ببغداد، لأن الوزير جمع الحبوب في تلك البلاد ومنع حملها إلى العاصمة فثار العامة على الوزير وشتموهة وفتحوا السجون ومنعوا صلاة الجمعة واحرقوا الجسور [١٧٤] وهكذا نتلمس أن احتكار المسؤولين كان يؤدي إلى زيادة الاسعار في أسواق بغداد. ولابد من القول أن هذه الاحتكارات كانت غالباً مؤقتة وفردية وقد لا تدعمها امتيازات حكومية منصوص عليها وإنما هي من باب استغلال موقع وظيفي لا حيز، لذلك لم يكن لها تأثير طويل الامد على الأسعار، لكن قسوة الاحتكار، تتمثل في من هم في قمة السلطة، فمثلاً اشتغال الوزير بالتجارة والاحتكار يصرف جزء من وقته لهذه المهمة وبذلك لا يستطيع أن يقوم بمهام عمله السياسي الذي يتقاضى من أجله راتبا معيناً من بيت المال. هذا فضلاً عن أن الوزير يستطيع بحكم موقعه الوظيفي أن يتحكم في سعر البضاعة المراد شراءها، كما يكون بمقدوره رفع سعر البيع بالشكل الذي يناسبه.

ومن الملاحظ أن الفقهاء والناس ينظرون إلى الاحتكار والمحتكرين بشيء من النفور والاستخفاف، خاصة فيما يتعلق منها بالمواد الغذائية [١٧٥] بذلك يستندون للأحاديث النبوية الشريفة التي تنهى عن الاحتكار وتذم المحتكرين، وبذلك يمكن اعتبارها صدى لموقف الاسلام تجاه الاحتكار، قال رسول الله 6 : ((لا يحتكر إلا خاطئ)) [١٧٦].

وقد روي في فضل ترك الاحتكار عن رسول الله 6 ، قال: ((من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصرف به، وفي لفظ آخر فكأنما اعتق رقبة))[١٧٧].

وأجاز مالك تأديب وإخراج السلعة المحتكرة من أيديهم وتفريقها بين الناس وذوي الحاجة فيشترونها بالثمن الذي تباع فإن لم يعلم ثمنه، فتسعيره يوم احتكاره[١٧٨]، وتحت هذا المعنى فقد أشار قائلاً: حدثني يحيى بن مالك: أن بلغه أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: " لا حكرة في سوقنا، لا يعمد رجال بأيديهم فضول من أذهاب، إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا، فيحتكرونه علينا، ولكن أيما جالب على عمود كبره في الشتاء والصيف، فذلك ضيف عمر. فليبع كيف شاء الله. وليمسك كيف شاء الله" [١٧٩]، ومن هذا المنطلق منع الخليفة المقتدر بالله الاحتكار. واجبر المحتكرين على فتح دكاكينهم وبيع ما فيها من سلع [١٨٠]، كما أن الدولة العباسية قد صادرت عشرين كراً من الدقيق من المحتكرين سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م[١٨١].

المطلب الثالث

الضرائب المفروضة على الأسواق في المشرق الإسلامي

لقد فرضت الضرائب على الأسواق والحوانيت في بغداد، وقد ذكر الخطيب البغدادي بأن الخليفة المنصور لم يضع على الأسواق غله [١٨٢] عندما كانت الاسواق في داخل مدينة (بغداد).

أما عندما أمر الخليفة المنصور باخراج الاسواق من مدينته وبنيت أسواق جديدة في منطقة الكرخ فإنه "وضع عليهم غله على قدر الزرع"(١٨٣).

في حين يذكر اليعقوبي بأن الخليفة المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٥- ٧٨٥م) هو أول من وضع المكس (*) على الاموال التجارية وتحت هذا المعنى أشار: "أمر المهدي بجباية اسواق بغداد، وجعل عليها الاجرة، وكان ذلك سنة ١٦٧هـ/ ٨٧٣م"(١٨٤)، ووكل سعيد الحرثي(**) بذلك، وكان أول ما جبيت أسواق بغداد (١٨٥) وقد استمر فرض المكس على البياعات المختلفة في العصر العباسي، واتصفت المكوس بصفتين رئيسيتين: الأولى أنها ليس لها حد معين والثانية أن جباياتها كانت تعتمد على أهواء المسؤولين من جهة وعلى الوضع العام من جهة أخرى (١٨٦).

وكانت لفظة (مستغلات) تطلق على الضرائب التي تفرض على الدور والطواحين التي تم بناءها على أرض حكومية (١٨٧) وقد ذكر ابن خرداذبة في المسالك والممالك أن وارد مستغلات بغداد مع دار الضرب بلغ ١.٥٠٠.٠٠٠ درهم في سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م، وبلغ وارد مستغلات بغداد حوالي سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، ١٣.٠٠٠ ديناراً في السنة (١٨٨)، وكانت قد انشئت دور خاصة للمكوس في أماكن مختلفة خاصة على ضفاف الانهار، وكان يمد حبل أو سلسلة بين الضفتين عبر النهر ليمنع مرور السفن قبل أن تجبى الضريبة منها، وهذا ما يدعى بالمآصر جمع مآصر ويطلق المآصر على الضريبة نفسه(١٨٩). وكان ابن رائق ٣٢٤- ٣٣٦هـ/ ٣٣٥- ٩٣٧م، أول من وضع المآصر ببغداد "وما كانت سمعت بالضرائب من قبله"(١٩٠). وكانت توجد مآصر على الطريق من بغداد إلى واسط في دير العاقول على دجلة وفي واسط (١٩١).

وفي أواسط القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كان مجموع هذه الضريبة في بغداد ١١.٩٠٠.٠٠٠ (١٩٢) درهما في السنة (١٩٣).

وبلغ وارد أسواق الغنم في اسواق بغداد وسر من رأى (سامراء) وواسط والبصرة والكوفة في جريدة علي بن عيسى (*) مبلغ ١٦.٩٧٥ دينارا سنوياً (١٩٤)

وقد أبقى على هذه الضريبة حتى بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وكانت تجبى على البضائع المنقولة البرية والنهرية، إذا ألغيت من علي بن عيسى في وزارته الاولى (٣٠٠- ٣٠٤هـ/ ٩٨٢- ٩١٥م) واسقط المكس في العراق (١٩٥) وفارس وسوق بحر الاحواز وبقيت هذه الضرائب بين إلغاء وإبقاء طيلة العصر العباسي (١٩٦).

وكانت تفرض ضرائب جديدة أحياناً على بعض المواد في الأسواق، فلما فتح عضد الدولة الأحواز سنة ٣٦٧هـ/ ٨٧٧م اعلن بأنه سيخلص الأهلين من عبئ ثقيل بإلغاء الضرائب على الطحين والمواد الغذائية، ووعد أن يفعل ذلك في العراق (١٩٧).

ويشير ابن حوقل إلى فرض ضرائب على الطواحين والحمامات والحوانيت(١٩٨) وقد كانت ضريبة رحا البطريق(*) في بغداد مائة الف درهم سنوياً(١٩٩)، وضرائب اخرى قد فرضت على الطواحين في الموصل والحديثة(٢٠٠)، كما فرضت ضرائب أخرى على المنشآت التي شيدت على أراضي تابعه للدولة وهي ما يطلق عليها أجور العرصات وهي خاصة على الدور عرفت باجرة العرصة وقد كان واردها كبيراً خلال عصر الخليفة المقتدر (٢٩٥- ٣٢٠هـ/ ٩٠٧- ٩٣٢م) كما كانت تفرض على البنايات والمنشآت الحكومية (٢٠١).

ويخبرنا ابن حوقل أن "ما يقبض من الطواحين في القصبه (نصبين) والضياع المقبوضة والمشتراة، وغلات العقار المسقف من الخانات والحمامات والدور ستة عشر ألف دينار وذلك سنة (٣٥٨هـ- ٩٩٨م)"(٢٠٢). وهذا يدل أن الحمامات كانت تدفع ضريبة أيضا.

وفرض ناصر الدولة (٣١٧- ٣٥٨هـ/ ٩٢٩- ٩٦٨م) الضرائب على بيع الأغنام والدواب والبقر والخضر الفواكه، حتى بلغ الوارد منها خمسة ألاف دينار في سنة ٣٥٨هـ/

٩٦٨م [٢٠٣]، في حين بلغت غله الطواحين والخانات والحمامات والحوانيت والدور مائة ألف دينار في سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م [٢٠٤]. وقد فرض عضد الدولة الضرائب على بيع الخيل والحمير والجمال في جميع الاسواق[٢٠٥]، ويظهر أنه فرضت في وقت ما ضريبة على بيع المنسوجات القطينة والحريرية في أسواق بغداد. وقد اعادها صمام الدولة سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، وجعل مقدارها ١/ ١٠ من الثمن، مما أدى إلى حصول فتنة وشغب في بغداد حتى الغيت الضريبة[٢٠٦].

وفي سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م، اعاد الوزير ابو نصر[*] فرض ضريبة العشر على المنسوجات الحريرية والقطينة المعمولة في بغداد، فثار عليه سكان محلة العتابية ومحلة باب الشام إلا أن الثورة أخمدت "وثبت هذا الرسم ورتب في جبايته ناظرون ومتولون وافرد له ديوان في دار البركة ووضعت الختوم على جميع ما يقطع من المناسج ويباع ويحمر، واستمر الحال على ذلك إلى اخر ايام عميد الجيوش[**] أبي علي (٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) ثم اسقطه وازال رسمه"[٢٠٧]. وفي سنة ٣٣٠هـ/ ٩٤١م، فرض ابو الحسن البريدي ضريبه على الزيت، كما فرض ضريبة باهظة بلغت سبعين درهماً على كر الحنطة [٢٠٨].

من خلال ما تقدم من الامثلة عن الضرائب المفروضة على الاسواق والحوانيت وغيرها من المنشآت في العصر العباسي، نستطيع أن نستدل أن الدولة كانت تفرض الضرائب على أصحاب الصنايع والحرف والتجار في الأسواق حسب الظروف، وإن هذه الضرائب والرسوم لم تخضع لقاعدة ثابتة، ولم تلتزم بها الكثير من الولاة في بعض الاحيان، وقد يعود السبب إلى الحالة السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية في ظل الخلفاء المتأخرين والتي لم يكن لبغداد غير سلطة اسمية على أقاليم المشرق الإسلامي أعاقت النمو الزراعي والصناعي دون الاخذ بنظر الاعتبار مصلحة الدولة واقتصادها فكان في النتيجة المحتومة لهذه السياسة خلق اقتصاد غير متوازن تمثل بهذه الضرائب الثقيلة على الأسواق.

الضرائب المفروضة على الاسواق في بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر

إن موقف الدولة العربية الإسلامية من الأسواق وأهل الصنع والمهن والحرف على مدى الفترة التي سبقت العهد العباسي، انصبت على فرض ضرائب متنوعة على الأسواق والصناع [٢٠٩]. وفرضت المكس على السلع المنتجة محليا والعشر على المواد المستوردة من الخارج [٢١٠].

وفي العصر العباسي تطورت الحياة الاقتصادية وازدهرت الحياة المدنية وتضخمت الادارة وازدادت الحاجة إلى الأموال، ففرضت ضرائب منظمة على الاسواق وأصحاب الصنائع والحرف، وأصبحت هذه الضرائب تشكل مورداً جيداً للدولة، إذ شمل أغلب السلع الصناعية المنتجة محليا والمستوردة وأصبحت هذه الضرائب تشكل مورداً مالياً مهما لبيت المال [٢١١] .

وقد أشار المقدسي للضرائب المفروضة على الأسواق والحوانيت في فارس [٢١٢]، ومنها الضرائب المفروضة على المستغلات من الاسواق والطواحين المقامة على أرض الدولة، وبخاصة مدينة شيراز [*] التي اشتهرت بكثرة أسواقها وفخامة ايرادات ضرائبها فقد أشار المقدسي قائلاً "ولا تسأل عن ثقل الضرائب وكثرتها"[٢١٣] ويتضح من النص السابق نظراً كثرة الضرائب يمتنع عن تعدادها فقد عرفت فارس الضرائب الشرعية [٢١٤] التي هي خارج نطاق بحثنا، وكذلك عرفت باسم المكس تدليلاً على عدم شرعيتها الدينية، والتي فرضتها حاجات الدولة لموارد إضافية نتيجة تقلص اراضي الخلافة وغنائم الحرب فضلاً عن زيادة مصاريفها الادارية والعسكرية ونفقات دار الخلافة. وقد شملت هذه الضرائب المكوس، وقد باتت هذه الضرائب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي رغم النظرة الفقهية التي تصفها بأنها غير شرعية ضرائب متعارف عليها، وعاديه حتى لنجد أن الضرائب التي باتت تورد في عهود الخلفاء تتضمن هذه الضرائب الجديدة إلى جانب الضرائب الشرعية وبصورة اعتيادية، ففي تلك العهود التي كتبها ابو اسحاق الصابي، ورد ذكر الضرائب الشرعية وأضاف إليها مال

الجهبزة(*) الاحداث (**). وسائر وجوه الجبايات [٢١٥] ولم تكن المكوس ثابتة، لابنوعيتها وعددها ولابقيمتها، إذ كان الامر يخضع لقرارات الخليفة ولاحقا للامير البويهي الذي بمقدوره تخفيض قيمة هذه الضرائب أو زيادتها أو إلغائها لفترة فرض ضرائب أخرى، وفي أحيان قليلة كانت السلطات تضطر إلى إلغاء تلك المكوس نتيجة احتجاجات السكان وشغبهم [٢١٦]. هكذا فقد تشعبت هذه المكوس وتنوعت حالاتها لتشمل مختلف مجالات النشاط السكاني، فكلما واجهت الدولة مصاعب مالية لجأت إلى فرض ضرائب جديدة فظهرت ضرائب على الحوانيت والاسواق بما فيها الحمامات وضرائب على الطواحين وعلى البيوت والبنايات ووصل الامر إلى أن فرضت الضرائب على بيع بعض المواد الغذائية والسلع الأخرى [٢١٧].

وكانت الضرائب تدفع في بعض الأحيان على شكل مواد عينية فضلاً عن النقد فعلى سبيل المثال تعمد صاحب او صفهان (***) وهمدان (****) بأن يؤدي السلطان مسعود الغرنوي (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م) كل عام عشرة الاف ثوب من منسوجات تلك البلاد فضلاً عن بعض المنسوجات الجلدية كأسرجة الخيل والبغال [٢١٨]، وقد أورد المقدسي الضرائب المفروضة على الأسواق والحوانيت وهي غير المستغلات [٢١٩] أما المستغلات، وهي الضريبة على الأسواق والمباني والطواحين المقامة على أراضي الدولة فكانت موجودة بشيراز وغيرها [٢٢٠]، وأيضاً الضريبة على المحلات التجارية، فليس لدينا رقما محدداً عن مجمل قيمتها، ما عدا ما يعطيه البلخي عن مدخول مدينة شيراز وضاحية كردفنا فرد، إذ بلغت ٣١٦ ينار [٢٢١]، وبالطبع فمن بين هذا المبلغ ضرائب الاسواق والمحلات المبنية على أراضي الدولة أو الخاصة، كذلك الضرائب على الطواحين ودار الضرب والخراج وغير ذلك. ولاشك أن قيمة ضرائب المحلات التجارية والأسواق في شيراز وكردفنا فرد قد احتلت نسبة كبيرة من مجموع قيمه واردات هذه المدينة، إذ بلغ مجموع (المستغلات) من المحلات التجارية في كردفنا خسرو فقط ١٦ الف دينار سنويا[٢٢٢]. وكان لكثرة اسواق هذه المدينة، إن سماها الناس ((سوق الامير)) وبلغ مجموع ما تدفعه من الضرائب ٢٠ الف دينار[٢٢٣].

إن مجمل واردات فارس من مختلف الضرائب والمكوس قد بلغت في عهد عضد الدولة (٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، اكثر من مليون وخمسمائة الف [٢٢٤]، ما عدا واردات ارجان[*] التي كانت في ذلك الوقت بايدي امير الجبال ركن الدولة، وتبلغ وارداتها ٥١٠ الف دينار [٢٢٥]، أن فارس وبلاد ما وراء النهر استطاعت أن سقوط الخسارة الاقتصادية في ميدان الزراعة التي ألحقها بها نظام الاقطاع العسكري، بتلك النهضة التجارية التي عرفتها في هذا العصر، وباتت مداخيل مينائي سيراف ومهروبان وضرائب الأسواق التجارية تعوض انخفاض قيمة الخراج[٢٢٦].

المطلب الرابع

الرقابة المفروضة على الاسواق في بلاد المشرق الاسلامي

أ- تعريف الحسبة:

الحسبة منصب ديني يتصل بالقضاء وكان والي الحسبة يعرف عند المتأخرين باسم ((المحتسب)) وهو الذي ينظر في الامور التي يتعلق بالنظام العام، كما كان يقضي في الجنايات التي يستدعي الفصل فيها السرعة، حتى أن القضاء والحسبة كانا يسندان في بعض الاحيان إلى رجل واحد، وعمل المحتسب مبني على الشدة والسرعة في الفصل [٢٢٧].

ب- تطور وظيفة المحتسب:

باشر خلفاء الدولة العربية الاسلامية الاوائل بانفسهم مراقبة الاسواق، فبعد أن تأسست الامصار الجديدة ونشطت اسواقها كان لزاماً أن تخضع تلك الاسواق لانظمة وقوانين ضابطة. إذ لم يترك التعامل يسير وفق هوى النفس ومصالح التجار وأهل السوق بل نظمت تحت رقابة الدولة واشرف عليها مختص هو المحتسب يختار وفق مواصفات معينة.

وقد أكدت آيات قرانية على ضرورة ضبط الموازين والمكاييل قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٢٢٨].

وعلى الرغم من أن أول إشارة صريحة إلى الحسبة والمحتسب ترجع إلى أواخر النصف الاول من القرن الثاني الهجري/ القرن الثامن الميلادي [٢٢٩]، فإن ذلك لا يعني إن هذه المؤسسة قد ظهرت فجأة، فالثابت أن وظيفة ((العامل على السوق)) ((والعريف)) قد وجدت في صدر الاسلام [٢٣٠] واستمرت طيلة العصر الاموي وهي التي مهدت لظهور وظيفة المحتسب، حيث بدأ استعمال هذه التسمية في المشرق منذ بداية العصر العباسي، ونظراً لأهمية مراقبة الاسواق وأهل الصنائع والمهن والحرف لذا باشر الرسول الكريم 6 بنفسه الإشراف على الأسواق[٢٣١]، وتحت هذا المعنى فقد حدثني عن مالك عن نافع، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله 6 قال: "لاتبيعوا الذهب بالذهب. إلا مثلاً بمثل[*] ولاتشفوا[**] بعضها على بعض. ولا تبيعوا الورق بالورق. إلا مثلاً بمثل. ولا تشقوا بعضها ببعض. ولا بيعوا منها غائباً بناجز[***]"[٢٣٢] ، كما روي أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان قد مارس الرقابة على الأسواق ووضع القواعد الاساسية وحث التجار وأهل السوق على عدم التلاعب بالأسعار، وتحت هذا المعنى فقد حدثنا عن مالك ، عن يونس بن يوسف، عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب ﷺ بر بحطاب بن أبي بلتعه: وهو يبيه زبيباً له بالسوق. فقال له عمر بن الخطاب: إما أن تزيد في السعر. وإما أن ترفع عن سوقنا" [٢٣٣]، وكان قد استعمل عبد الله بن عتبة على السوق[****] وقد اشار وكيع أن الامام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) كان يتفقد اسواق الكوفة أبان خلافته على الكوفة ويحث التجار على أن لا يظلموا الناس ولا يغشوهم ولا يدلسوا عليهم[٢٣٤].

ولقد شهد العصر العباسي الاول ١٣٢- ٢٣٢هـ/ ٧٤٩- ٨٤٦م ظهور تطور في مهام المحتسب، إذ إن الدولة العربية الإسلامية طبقت الرقابة على الاسواق خاصة بعد أن

نشطت الحركة التجارية في العصر العباسي بعد بناء مدينة بغداد والتي أصبحت محط أنظار كل تجار وحرفي الشرق، كونها عاصمة الخلافة وملتقى الطرق التجارة المهمة والتي استقطبت اعداد كبيرة من التجار فضلاً عن دور الصناعة فيها مما أدى إلى ظهور نشاطات من الانتاج الصناعي والحرفي [٢٣٥]، مما استوجب وجود رقابة الاسواق وأهل المهن والحرف وبالتالي رفع معلوماتهم بكل ما يجري إلى المحتسب وتحت هذا المعنى أشار الماوردي: "فإذا تعدى مستأجر على أجير في نقصان اجراً واستزادة عمل كفه عن تعديه وكان الانكار معتبر لشواهد حاله"[٢٣٦]. ومن الجدير بالذكر فقد كان للخليفة المنصور موظفون يزودونه بكل ما يجري في الاسواق، وأورد الطبري أنه في سنة ١٥٧هـ/ ٧٨٣م كان أبو زكريا يحيى بن عبد الله محتسباً على أسواق بغداد [٢٣٧].

وكان نظام الحسبة قد تتطور بشكل واضح في خلافة محمد المهدي العباسي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥- ٧٨٥م) حيث انتظمت الاسواق وتوسعت وتخصص بعضها وازدهرت التجارة، وظهرت النقود الزائفة وعندئذ برز ((صاحب السوق)) وصار يتقاضى راتبا معيناً من المال[٢٣٨].

ج- واجبات المحتسب:

لقد كان للمحتسب سلطات واسعة لها اتصال مباشر مستمر بحياة العامة لذا سنقصر بحثنا على واجباته في السوق. فقد كان على المحتسب أن يتفقد احوال السوق باستمرار، ويتخذ له عيوناً يوصلون إليه الاخبار واحوال السوق [٢٣٩]، ولم يكن المسؤولون متهاونون مع المحتسب إذا قصر في ذلك، فقد اقدم المنصور على قتل محتسب بغداد يحيى بن زكريا لسوء تصرفه [٢٤٠]. وقد بلغ علي بن عيسى الوزير أن محتسب بغداد كان يتعذر الجلوس في داره، فكتب إليه توقيعاً جاء فيه: "الحسبة لا تحتمل الحجة، فطف الاسواق تدر لك الارزاق وأن لا زمت دارك صار الأمر كله عليك السلام"[٢٤١].

وكان على المحتسب أن يتأكد من صحة المكاييل والمقاييس والاوزان المستعملة في السوق، لكل يجري التعامل بها من غير غبن على الوجه الشرعي(٢٤٢)، ولضمان ذلك، فإنه كان يلزم التجار أن يتخذوا الارطال من الحديد والمعادن، بعد أن يثبت على ختم المحتسب(٢٤٣). ومن واجبات المحتسب أن يتدخل لمنع الارتفاع الفاحش في أسعار البضائع التي كان يحتاجها الناس، ففي حالة اختفائها من السوق بسبب الاحتكار كان من واجبه التحري عنها واظهارها (٢٤٤). ومن واجبات المحتسب كذلك تفقد عيار المثاقيل والصبغ والحبات على حين غفله من اصحابها (٢٤٥)، ويذهب البعض الى القول أنه لا ينبغي لحواضر المسلمين أن تكون اسواقها مختلفة المقاييس والمكاييل، وأن على المحتسب أن يوحد بينها (٢٤٦). وكان على المحتسب أن يدخل احيانا في شؤون النقد، وهناك إشارة إلى قيام هارون بن إبراهيم الهاشمي المحتسب بذلك إذ إنه "أمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس، فتعاملوا بها على كره منهم، ثم تركوها" (٢٤٧). كما إن من واجب المحتسب ألا يبيعوا الذهب بالفضة والفضة بالذهب(٢٤٨)، كما كان من واجبه أن يتدخل ويشرف على كافة والاصناف وارباب الصناعة في السوق(٢٤٩).

د- تعين عرفاء على السوق:

نظراً لأنه لم يكن بمقدور المحتسب الإحاطة بكل ما تقدم من الاعمال وحده، لذا كان يتخذ من أهل كل صنعه "عريفا من صالح اهلها خبيراً بصناعته من بصيراً لغشهم وتدليسهم، مشهوراً بالثقة والامانة يكون مشرفاً على أحوالهم(*) ليطالعه بأخبارهم وما يجلب إلى السوق من السلع والبضائع وما تسقر عليه الاسعار"(٢٥٠). ومن الجدير بالذكر فقد كان الأمير في الولاية، والوزير في العاصمة يقومان بتعين هؤلاء العرفاء بعد أن يرشحهم المحتسب، وربما قام القضاة اصدار اوامر تعينهم(٢٥١). وفضلاً عن العرفاء على الاصناف واصحاب الحرف فقد كان للمحتسب (نواب) على الحدود والموانئ وسواحل البحر وفي (الاماكن) التي ترد إليها (الغله) ليعلموه بما يرد من الغلال والبضائع، وما يخرج منها، ويشرفوا على مخازن الغله التي قد "يختمونها إلى وقت الحاجة"(٢٥٢).

يتضح مما تقدم أن المحتسب يجب أن يكون على اطلاع واسع على احوال البلاد الاقتصادية، لأن ذلك يعينه على اتخاذ القرارات الصائبة عند حلول الازمات من حروب وفيضانات ونشوب الحرائق في الاسواق، إذ إن لدينا ادلة كثيرة عن حوادث وقعت في أسواق العراق والمشرق الإسلامي تبين من جهة تماسك أصحاب الحرف مع بعضهم ومن جهة أخرى تبين دور المحتسب في مواجهة هذه المشاكل والفتن، ففي سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م وأثناء حصار بغداد في الفتنة التي وقعت بين الامين والمأمون نسمع عن اشتراك بعض الاصناف في الدفاع عنها [٢٥٣]. وفي سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م حصلت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام وبين الاساكفة[**] كان من نتائجها احتراق سوق الاساكفة وما فيه [٢٥٤]. وفي سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م حصلت فتنة بالموصل أيضا بين اصحاب الطعام أو البزازين والاساكفة ادت الى احتراق اسواق اهل الطعام ، ثم سوق الاساكفة. إن ظهور مثل هذه الفتن بين أصحاب الحرف المختلفة كان لابد من وجود ضبط وحزم من قبل المحتسب واعوانه للمحافظة على اسعار البضائع التي يحتاجها الناس، ففي حالة اختفائها كان من واجبه التحري عنها واظهارها [٢٥٥]. وإضافة إلى ما تقدم فقد جرت العادة أن يتخذ المحتسب ((اعواناً)) أو (غلمانا) يتقوى بهم على المخلفين [٢٥٦]، كما قد يكون ((الشرطة)) ضمن هؤلاء الاعوان [٢٥٧].

هـ- مؤهلات المحتسب (عامل السوق):

نظراً لاتساع اختصاصات المحتسب وتشعبها وارتباطها بالامور الشرعية ارتباطاً وثيقاً جعل الفقهاء بوجوب صفات خاصة في من يراد توليته هذا المنصب[٢٥٨] فقد اشترطوا فيه:

١- أن يكون مسلماً حراً بالغاً عدلاً [٢٥٩].
٢- أن "لا يولاها إلا عالم مجرب"[٢٦٠] فقيه عارف باحكام الشريعة الاسلامية، ليعلم ما أمر به وينهى عنه "فإن حسن ما منحه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ولا مدخل في معرفة المعروف والمنكر إلا بكتاب الله ﷻ "[٢٦١].

٣- أن يعمل بما يعلم، وأن لا يكون قوله مخالفا لفعله [٢٦٢]،.

٤- أن يكون عفيفاً عن اموال الناس "مستورعاً عن قبول الهدية فإن ذلك رشوة"[٢٦٣].

٥- ينبغى أن يكون للمحتسب ذا رأي وخشونة [٢٦٤].

٦- أن يوطن نفسه على الصبر، وأن يقصد بقوله وفعله وجه الله وطلب مرضاته [٢٦٥].

٧- أن يكون عارفا "بالموازين والمكاييل والارطال والمثاقيل والدراهم وتحقيق كميتها"[٢٦٦].

إن تعين المحتسب كان يجري من قبل الخليفة أو الامير [٢٦٧]. ولقد احتفظ بعض الافراد بمنصب المحتسب طوال حياتهم ثم انتقل إلى ابنائهم، إذ توجد اشارتان تبين ذلك، فقد كان محمد بن احمد بن عبد الباقي قد ولي الحسبة هو وابوه وجده بالتتابع [٢٦٨] ونفس الامر حصل لمحمد بن عبد الله الهاشمي الذي خلف اباه على الحسبة حتى وفاته[٢٦٩].

ويمكن القول أن مدة تولي هذا المنصب كغيرها من الولايات غير محدود، وقد اشار الخطيب أن أغلب من وصلتنا ترجمة حياتهم من المحتسبين قد احتفظ بمناصبهم حتى وفاتهم[٢٧٠].

و- ملحق باسماء المحتسبين خلال العصر العباسي الثاني

ليست لدينا قائمة تفصيله باسماء المحتسبين خلال هذه الفترة، ولكن استناداً إلى المصادر التاريخية وكتب (التراجم) يمكن ايراد قائمة اولية باسماء الذين ولوا الحسبة ببغداد خلال الفترة التي أعقبت مقتل الخليفة المتوكل حتى العهد البويهي على الشكل التالي:

١- محمد بن احمد بن علي بن مخلد الجوهري (ت٢٦٤هـ/ ٨٧٧م)[٢٧١].

٢- هارون بن ابراهيم الهاشمي، تولى الحسبة سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م.

٣- عبيد الله بن علي بن الحسين بن إسماعيل الهاشمي[٢٧٢] ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م، وتولى على الحسبة ببغداد.

٤- محمد بن عبيد الله بن علي الهاشمي: تولى الحسبة عند وفاة ابيه واستمر في ولايته عليها حتى وفاته سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م [٢٧٣].

٥- إبراهيم بن محمد بن بطحاء [٢٧٤]. وفي ولايته هذه ارتفع سعر الحنطة والدقيق، مما اضطره الى تسعيرها فسعر الكر الواحد بخمسين دينار. وقد كان معه عند التسعير هارون ابن خال الخليفة المقتدر [٢٧٥].

٦- عمر بن الحسين بن علي الشيباني[٢٧٦]، وقد عزل عن الحسبة سنة٣١٠هـ/ ٩٢٢م.

٧- عن الفترة المحصورة بين سنتي (٣١٠هـ- ٣١٨هـ/ ٩٢٢- ٩٣٠م) لم اعثر على ما يشير إلى من تولى الحسبة خلالها في بغداد.

٨- الدانيال (م) تولى الحسبة في وزارة الحسين بن قاسم للخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م)[٢٧٧].

٩- محمد بن ياقوت، كان اميراً للشرطة واضاف الخليفة المقتدر له ولاية الحسبة ثم عزل عن كليهما سنة (٣٠٩هـ/ ٩٢١م). وهي نفس السنة التي ولي فيها [٢٧٨].

١٠- ابراهيم بن محمد بن بطحاء [٢٧٩] ولي الحسبة للمرة الثانية، وكانت ولايته الاولى قبل عمر بن الحسين بن علي الشبناني: تولى الحسبة ببغداد سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م خلفا لمحمد بن ياقوت، وبقي في ولايته هذه حتى وفاته سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م.

١١- المعروف بالاسمر من أصحاب الأمير توزون، استمر في ولايته للحسبة حتى سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م [٢٨٠].

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الأسواق في المشرق الإسلامي (العراق، بلاد فارس، بلاد ما وراء النهر) وقد تم التوصل إلى ما يأتي :

١- إن العرب المسلمون قد تلمسوا الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لمدينة بغداد التي أقامها الخليفة أبو جعفر المنصور عام ١٤٥هـ/٧٦٣م.

٢- وفي مدينة السلام برزت ظاهرة تخصص الأسواق، فبناءً على رغبة المنصور أصبحت أسواق الكرخ منفصلة عن بعضها البعض، ومنظمة بشكل جعل لكل تاجر وتجارة شارع معلوم، لايختلط قوم بقوم، ولا تجارة بتجارة، كذلك حدث بالنسبة لأسواق الرصافة، وأسواق بلاد فارس وأسواق بلاد ما وراء النهر، فلو أخذنا شيراز نموذج للمدن الإسلامية في أقاليم الشرقية للخلافة العباسية نجد أنها خضعت لنظرة المسلمين بإدخال المسجد والأسواق إلى داخلها والتي تميزت بالتخصص فكان أصحاب الحوانيت الصغار وأصحاب الحرف والمهن يتجمعون في مكان في السوق فكل تجارة شارع مستقل .

٣- ومن خلال تتبعنا لأسعار السلع المعروضة في أسواق بغداد لاحظنا أنها كانت تجنح للصعود منذ بناء المدينة المدورة ، وحتى نهاية التغلب البويهي وكان للمؤثرات السياسية والظواهر الطبيعية أثر كبير في ذلك .

٤- مارس التجار وبعض المسؤولين احتكار المواد الغذائية غير أن هذه الاحتكارات كانت غالباً فردية ومؤقتة ، وقد لا تدعمها امتيازات حكومية منصوص عليها، وإنما هي من باب استغلال موقع وظيفي لاغير، لذلك لم يكن لها تأثير طويل الأمد على الأسعار.

٥- ومع أن مسألة التسعير محل اجتهادات كثيرة من جانب الفقهاء، إلا أن الدولة العباسية قد فرضت سعراً محدداً لمواد الطعام عندما اشتدت أزمات الغلاء من جراء الاحتكار.

٦- لقد ساهم الازدهار الاقتصادي الذي عرفته بلاد فارس خلال العهد البويهي وفي كافة المجالات ساهم في تجنب المقاطعات موجات الغلاء والمجاعة التي عصفت بالعراق، فلم تعرف فارس موجة غلاء حقيقية سوى في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، وهي السنة التي استولى فيها السلاجقة على العراق، وما يجدر الإشارة إليه أن بلاد فارس لم تتعرض إلى الفتن والاضطرابات وأعمال النهب والقتل وأعمال العيارين التي كانت تصيب التجار والأغنياء والأسواق التجار والتي كانت محصورة بالعراق ومدنها وبعض مدن إيران ما عدا فارس التي لم تعرف أي وجود لها بداخلها طوال العهد البويهي .

٧- وقد تبين لنا أن ارتفاع الأسعار وحصول الاحتكار في أسواق المشرق الإسلامي لم تكن السمة الوحيدة التي ميزت الحقبة التي نحن بصدد دراستها، ذلك أن فترات عديدة من الرخاء الاقتصادي تخللت تلك الحقبة ولمس السكان منافعها وخاصة بغداد في العصر الأول .

٨- لقد اهتمت الدولة العربية الإسلامية بمراقبة الأسواق وتنظيمها وفق قواعد وقوانين ضابطة ، ولم تترك التعامل بها وفق هذه النفس ومصالح التجار وأهل السوق، إذ أشرف على الأسواق في المشرق الإسلامي موظف مختص هو المحتسب، اختير وفق مواصفات معينة، يعاونه عرفاء من أهل الحرف .

الهوامش

(١) عبد الرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥- ١٤٠٦م)، مقدمة ابن خلدون، المطبعة البهية المصرية، (د.م، د.ت)، ص٢٥٥.

(٢) ديمومبين، موريس غودفر، النظم الاسلامية، ترجمة: صالح الشماع وفيصل السامر، (بغداد، ١٩٥٢م)، ص٢٤٩.

(٣) الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار القلم، (بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م)، ج٢، ص٥٩.

(٤) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد، (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)، اليواقيت، بلاط. (القاهرة/ ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م)، ص٢٧.

(٥) المقدسي، اليواقيت، ج٢، ص٥٨.

(٦) سورة الفرقان، اية رقم (٧١).

(٧) اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب، (ت٢٨٢هـ/ ٨٧٧م) البلدان، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط١، (لبنان، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٧١.

(٨) الطبري، محمد بن جرير، (ت٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤، (القاهرة، د.ت)، ج٤، ص٤٥- ٤٦.

(٩) المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، باعتناء دي غويه، (بريل كليون ١٩٦٠م)، ص١١٧- ١١٨، ١٢٧. وكلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية، ترجمة: الدكتور بدر الدين القاسم، ط١، دار الحقيقة، (بيروت، ١٩٧٢م)، مج١، ص١٩٠.

(١٠) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١١٧- ١٣٢.

- الامصار: هي المدينة المعروفة، والمصر الكورة والجمع امصار، مصروا: المكان جعلوه مصراً والمصر من كلام العرب مثل كورة تقام فيها الحدود ويقسم فيها الفيء والصدقات، وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اول من مصر الامصار منها الكوفة والبصرة، ابن منظور، جمال الدين ، محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر (بيروت، د.ت)، ج٥، ص١٧٦.

(١١) الخربوطلي، حسني، تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٥٩م)، ص٣٧٢.

(١٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٢٥.

(*) ارجان: كورة جبلية وقصبتها على اسمها، وهي على الحدود بين فارس وخورستان وهي مدينة حسنة في غاية الطيب، ومن مدنها خوزستان، مهرجان، الادريسي، محمد بن احمد، (ت٥٢٦هـ/ ١١٦٦م) نزهة المشتاق في اختراق الافاق، الترجمة الفرنسية: جومير، (باريس/ ١٨٤٠م)، مج١) ص٣٩٥.

(١٣) متز، ادم، الحضارة العربية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: ابو ريدة، ط٤، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٦٧م)، ج٢، ص٢٦٨.

(١٤) المرجع نفسه، ص٤٢٦.

(١٥) المرجع نفسه، ص٤٢٧.

(**) اردشير حزه: كورة تقع في الاقليم السادس من بلاد فارس، أكثرها ممتد على البحر قصبتها سيراف، ومن مدنها جور، الغندجان، نجرم، الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص٤٠٤.

(١٦) المصدر نفسه، ص٤٢٧.

(١٧) اريري، آرثر، شيراز، مدينة الأولياء والشعراء، ترجمة: د. سامي مكارم، مكتبة لبنان، (بيروت، ١٩٦٧م)، ص٧٣.

(١٨) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٢٩.

(١٩) المصدر نفسه ، ص٣٥٦- ٤١٢.

(*) فسا: وهي احدى مدن شيراز وتقع في اقليم فارس من الاقليم السادس، المصدر نفسه، ص٤٠٦.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٤١٣.

(٢١) المصدر نفسه ، ص٤٢٥.

(**) سيراف وهي قصبة مدينة اردشير فرة وتقع في الاقليم السادس من بلاد فارس ومن مدنها جور ونجرم، الادريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص٤٠٤.

(٢٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٤٢٦.

(٢٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٣٩٧.

(***) اصطخر: هي أوسع كور الاقليم السادس في بلاد فارس، ومن مدنها هراة، بودان وكانت مداراً لملوكها واكثرها غلات، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٢٩.

(*) الاهواز: هو من كور اقليم خوزستان وكان اسمها دار اوثير وسماها العرب الاهواز، الادريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص٣٩٢.

(٢٤) المقدسي، أحسن التقاسم، ص٣٥٦- ٤١٢.

(**) العسكر مكرم: كورة جليلة من اقليم خوزستان يشقها ويحيط بها ثلاثة أنهر، الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ص٣٩٥.

(٢٥) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٠٦- ٤١٢.

(٢٦) المصدر نفسه، ص٤١٣.

(٢٧) الكبيسي، حمدان عبد المجيد وعواد مجيد الاعظمي، دراسات في الاقتصاد العربي الاسلامي، مطبعة التعليم العالي، (بغداد، ١٩٨٨م)، ص١١٤.

(*) الحيرة مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، وبالحيرة الخورنق يقرب منها ما يلي الشرق على نحو ميل... كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نضر ثم من لخم النعمان وابائه، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (ت٦٢٦هـ- ١٢٢٨م) معجم البلدان، ص٢٧٦.

(*) يوسف بن عمر: هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود ابن عم الحجاج بن يوسف، يجمعه وإياه الحكم بن أبي عقيل كان يُكنى أبا عبد الله، ولي اليمن لخلافة هشام بن عبد الملك ثم ولاه العراق. الدينوري، أبي عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٢هـ/ ٨٨٩م)، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٢٢٤.

(٢٨) البلاذري، أبي العباس احمد بن يحيى بن جابر، (ت٢٧٩هـ/ ٩٠١م) فتوح البلدان، مراجعة: رضوان محمد، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٩٥٩م)، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص٢٨٥.

(*) عبد الله بن عامر: هو عبد الله بن عامر بن عبد العزيز، وهو أول من احتفر نهر بالبصرة، وذلك أنه لما قدم البصرة عاملاً على العراق شكا إليه أهل البصرة ملوحة مائهم فكتب إلى الخليفة آنذاك فاجابه: "أن بلغت النفقة على هذا النهر خراج العراق وما كان في أيدينا فانفقه عليه، فحفر النهر المعروف بنهر ابن عمر"، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٦٤.

(٢٩) فتوح البلدان، ص٣٦٠.

(٣٠) المشهداني، محمد جاسم، ولاية عبد الله بن عامر للبصرة واصلاحاته الاقتصادية فيها، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٢)، (بغداد، ١٩٨٢م)، ص١٣٣.

(***) بلال بن أبي بردة: لقد ولي البصرة لخالد بن عبد الله ويذكر ان بلال بن أبي بردة حفر نهر بلال في البصرة وبنى على حانتيه الحوانيت ونقل إليها السوق وجعل ذلك ليزيد بن خالد القسري، البلادري، فتوح البلدان، ص٣٥٨.

(٣١) العلي، صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٥٣م)، ص٢٣٨.

(***) الكوفة: وهو المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها القوم حد العذراء قيل سميت بهذا الاسم لاستدارتها. وقيل سميت الكوفة كوفه لاجتماع الناس بها من قولهم قد تكوفت الرمل.، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٥٧.

(****) خالد بن عبد الله القسري: كانت ولايته أربع عشر سنة وسبعة أشهر، خليفة بن خياط، أبي عمر خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، مطبعة الاداب، (النجف، ١٩٦٧م)، ج٢، ص٣٦٦.

(٣٢) اليعقوبي، البلدان، ص١٤٩، ابن سعد، ابو عبد الله محمد البصري، (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، كتاب الطبقات الكبرى، (ليدن، ١٩٠٥- ١٩٢١م)، ج٢، ص٣٠.

(*****) الطاقات: مفردها طاقة، وتجمع على طاقات، وهو ما عطف من الابنية وجعل كالقوس من قنطرة ونافذة وغير ذلك، وهي لفظة فارسية في الاصل، الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ط٢، (القاهرة، ١٩٥٢)، مادة (طوق).

(*) لويس ماينسون: مستشرق فرنسي له كتاب خطط الكوفة، ترجمة: تقي محمد المصعبي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، وهو من منشورات المنتدى للفكر، مطبعة القرى الحديثة، طبع في النجف الأشرف، (النجف ١٩٧٩م)، المترجم المحقق.

(٣٣) المرجع نفسه، ص٢٧-٢٨.

(**) النجف: بلده فيها عين تقي عشرين الف نخلة وبالقرب من هذا الموضع قبر الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٥٨.

(***) قصر ابن هبيرة: لقد تم بناء هذا القصر من قبل يزيد بن عمر بن هبيرة الغزاري ايام الخليفة مروان بن محمد، اليعقوبي، البلدان، ص٦٤٥.

(***) سوق اسد: وهو سوق الكوفة منسوبة إلى أسد بن عبد الله القسري أخي خالد بن عبد الله أمير العراقيين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٢.

(*****) الفلوجة: هي القرية والارض الصالحة للزراعة، والجمع فلاليج، مدينة تقع غربي الفرات . المصدر نفسه ، ج٤، ص٣١٢.

(٣٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٥.

(*****) أهل الذمة: هم أهل البلاد المفتوحة من غير المسلمين، فتح المسلمون بلادهم وعقدوا معهم عقود أمان وصلحاً ويوجبه امن هؤلاء على انفسهم

وامواهم واراضيهم وبيعهم وكنائسهم على أن يدفعوا للمسلمين جزية لقاء ما منحهم إياه المسلمون من أمن أمان، وهم من النصارى المجوس والصابئة من ذوي الملل والنحل الذين لم يقبلوا الدخول في الاسلام، فطلبوا البقاء على دينهم فكان لهم ذلك، علاوي، محمود، معالم الحضارة في صدر الاسلام، دار الأرقم بن أبي الارقم، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص٣٠٢- ٣٠٩.

(٣٥) الخربوطي، علي حسني، الحضارة العربية الاسلامية، مكتبة الخانجي، ط٣، (القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، ص٢٠١.

(*) الحجاج بن يوسف الثقفي: هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ابو محمد قائد داهية، ولد سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م، ونشأ في الطائف بالحجاز وانتقل إلى الشام، فلحق بروح بن زنباع نائب الخليفة عبد الملك بن مروان، فكان في عداد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده الخليفة أمر عسكره... ثم ولاه الخليفة مكة والمدينة والطائف ثم اضاف إليه العراق، اليعقوبي، البلدان، ص٢٩.

(٣٦) بحشل، اسلم بن سهل الرزاز الواسطي، (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٦٧م)، ص٤٢.

(٣٧) بحشل، تاريخ واسط، ص٤٤.

(**) مدينة الموصل: هي مدينة مشهورة في العراق وأحدى قواعد الاسلام، فيها خلق كبير وهي محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى اذربيجان، وسميت بالموصل لأنها وصلت بين الجزيرة من الجانب الشرقي بنينوى، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٥٨.

(٣٨) السلمان، عبد الماجد احمد، الموصل في العهد الراشدي والاموي، مكتبة بسام، (الموصل، ١٩٨٥م)، ص٧٦- ٧٧.

(٣٩) الازدي، ابو زكريا بن محمد، (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)، تاريخ الموصل، نسخة مصورة عن نسخة كتبت سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م، دار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٦٧م)، ج٢، ص٦٥٦.

(***) الحر بن يوسف: هو الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص، وقد ولي الموصل للخليفة هشام بن عبد الملك الذي كان زوج اخته (أم حكيم). وقد ابتدأ بحفر نهر يحيى وسط الموصل سنة (١٠٧هـ)، وله ولد اسمه مسلمه وهو شاعر معروف، وقد تولى ولاية الموصل من ١٠٦هـ ولغاية ١٦٣هـ، إذ وفاه الأجل، الأزدي، تاريخ الموصل، ج٣، ص٢٦.

(٤٠) تاريخ الموصل، ج٢، ص١٦١.

(٤١) عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، (الكويت، ١٩٨٨م)، ص٢٥٥.

(٤٢) الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف (بغداد، ١٩٤٨م)، ص١٢٦.

(٤٣) اليعقوبي، البلدان، ص١٥.

(*) بغداد: هي أم الدنيا وسيدة البلاد، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة، وكبراً وعمارة ومياه كثيرة، ولقد سكنها من أحناف الناس انتقل إليها من جميع البلدان، ولقد اطلق عليها الخليفة أبو جعفر المنصور اسم مدينة السلام وقيل سميت مدينة السلام لأن نهر دجلة يقال له: وادي السلام، اليعقوبي، البلدان، ص١١، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٤١.

(٤٤) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي القريشي البغدادي، (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) مناقب بغداد، نشره: محمد بهجة الاثري، مطبعة دار السلام، (بغداد، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م)، ص٧-٨.

(**) الشام: سميت الشام شاماً لكثرة قراها، وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات وقيل سميت الشام بسام في نوح عليه السلام وذلك لأنه أول من نزلها فجعلت السين شيناً لتغير اللفظ الاعجمي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٣.

(٤٥) اليعقوبي، معجم البلدان، ص٢٢٧- ٢٢٨.

(*) الكرخ: الكرخ هنا هو كرخ بغداد: لما ابتنى الخليفة المنصور بغداد امر أن تجعل الاسواق في طاقات المدينة ازاء كل باب سوق ثم امر باخراج الناس من السوقة أي المشتغلين في الاسواق من المدينة وبذلك كانت الكرخ في وسط بغداد والمحال حوله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٥٠٦- ٥٠٧.

(٤٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٨٤، ابن حوقل، ابي القاسم بن حوقل النصيبي، (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة (بيروت، ١٩٧٩م)، ص٢٤٢، ابن الاثير، ابي الحسن علي بن ابي الكرم، (ت٦٣٠هـ/ ١٤٣٣م)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط٢، (بيروت، ١٩٦٧م)، ج١، ص٤٥٥.

(**) قصر وضاح: هو قصر بني للخليفة المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٤- ٨٧٥م) قرب رصافة بغداد، وقد تولى النفقة رجل من أهل الانبار يقال له وضاح فنسب إليه وقيل: وضاح من موالي المنصور يقال له الوضاح بن شبا، فبنى القصر الذي يقال له الوضاح والمسجد فيه فهذا يدل على أن قصر الوضاح بالكرخ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤١٤.

(٤٧) اليعقوبي، البلدان، ص٢٤١.

(٤٨) سوق الثلاثاء: سوق ببغداد، وسمي بذلك لأنه كان يقوم عليه سوق لأهل بغداد قبل أن يعمر المنصور بغداد في كل شهر مرة يوم الثلاثاء ، فنسب إلى اليوم الذي كانت تقوم فيه السوق، المصدر نفسه ، ص٣٢٢.

(٤٩) الخطيب البغدادي، أبي بكر احمد بن علي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، مكتبة الخانجي ، (القاهرة، ١٩٣١، ص٦٥ وما بعدها.

(٥٠) اليعقوبي، البلدان، ص٢٤٦- ٢٤٨.

(***) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان من أجمل مدنها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٦٨.

(****) مرو: اشهر مدن خراسان وقصبتها، وقد بناها ذو القرنين وصلى فيها غدير الهارها تجري بعزارة، وقد قدمها احد صحابة رسول الله 6 يقال له ابا برزة واقام بها الى أن مات وقبره بها، المصدر نفسه، ج٥، ص١٣٢.

(*****) الختل: كورة واسعة كثيرة المدن منهم من ينسبها إلى بلخ وذلك خطأ، لأنها خلف جيحون واضافتها إلى هيطل وهي على تخوم السند. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٦.

(******) بخارى: وهي من اعظم مدن ما وراء النهر واجملها، وكانت قاعدة ملك السامانية، المصدر نفسه، جـ١، ص٤١٩.

(*******) كابل شاه: وهي من الاقليم الثالث: وكابل اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى أوهند وهي ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنه، غزاها المسلمون في ايام بني مروان وافتتحها واهلها مسلمون، المصدر نفسه، ج٤، ص٤٨٣.

(********) خوازم: هو اسم ناحية وقد سميت بهذا الاسم أن أحد الملوك القدماء إذ غضب على اربعمائة من أهل مملكته، فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث بينهم وبين العمائر فرسخ فاختاروا مدينة كاث وهي إحدى مدن خوازم، فجاءوا بهم إلى هذا الموضع وتركوهم وذهبوا، فلما جاءوا فوجدوهم قد بنوا أكواخاً ووجودهم يصيدون السمك وبه يتقون فسمي هذا الموضع خوازم لأن اللحم بلغة الخوازمنية خوار والحطب رزم، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٥٢.

(٥١) اليعقوبي، البلدان، ص٢٤٦– ٢٤٨.

(52) Le strange, G. Baghdad during the Abbasid capliphate, Cambridge, 1924, P.181 p. 12- 18 , p320.

(53) Ibid, P. 271- 273.

(٥٤) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٦.

(٥٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص٦٩.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٢٥٣.

(*) عراص، مفردها عرصة، وهي الساحة، الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مادة (عرص).

(٥٧) اليعقوبي، البلدان، ص٢٤٦.

(٥٨) الخطيب البغدادي، تاريخ البغدادي، ص٦٨.

(٥٩) المصدر نفسه، ص٦٧.

(٦٠) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص٢٧- ٢٨.

(٦١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص٣٦.

(٦٢) اليعقوبي، البلدان، ص٢٤٥.

(٦٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص٣٦.

(٦٤) يذكر سوريل: ان النشاطات الحضرية كالتجارة والحرف، قبلت داخل سور بغداد المدورة اول الامر، الحضارة الاسلامية في عصرها الذهبي، ترجمة: حسين زينه، دار الحقيقة (بيروت/ ١٩٨٠م)، ج١، ص٥٣.

(٦٥) اليعقوبي، البلدان، ص١١.

(٦٦) المصدر نفسه ، ص٢٦٣.

(٦٧) اليعقوبي، البلدان ، ص٢٦٣.

(٦٨) المصدر نفسه، ص٢٤.

(٦٩) المصدر نفسه، ص٢٩.

(٧٠) المصدر نفسه، ص٢٦.

(*) بلاد ما وراء النهر: يطلق لفظة بلاد ما وراء النهر على جانب هيطل وهو الحد الذي يفصل جانب خراسان عن نهر جيحون ويتكون من ستة جزر وأربعة نواح، وهي فرغانه، اسيجاب، الشاش، اشرونه، الصغر، وبخارى وتعد من أخضب بلاد الله تعالى وأكثرها خيراً وعمارة ورعية في العلم . المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٢٦٠.

(71) Supler, B, the Age of the Caplihe Muslim world, Historical survery, x, pert, I, London, 1990,. P.53.

(**) جرجان: وهي كورة سهيلة جبلية من اقليم الري قبضتها شهرستان ومن مدنها استراباذ وابسكون، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣١٣.

(٧٢) المصدر نفسه، ص٤٥٦.

(***) ارمية: وهي تلي مدينة مراغه وهي كثير الكروم والمياة الجارية والضياع والدساتيق. وبها اسواق للتجارة في أوقات من السنة، ابن حوقل، صورة الارض، ص٢٨٩.

(***) تستر: كورة كثيرة الفواكه والاعناب، مرتفعه على وجه الارض، وتقع في اقليم الخامس من خوزستان، الادريسي، نزهة المشتاق، ج١ ، ص٣٩٢.

(٧٣) الجاحظ: رسائل الجاحظ، نشر: حسن السندوسي، المطبعة الرحمانية، ط١، (القاهرة، ١٩٣٣م)، ص١٦٩.

(٧٤) الكبيسي، حمدان عبد المجيد وعواد مجيد الاعظمي، دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي، ص١١٦.

(٧٥) أحسن التقاسيم، ص٤٤٥.

(٧٦) المصدر نفسه، ص٤٥٦.

(٧٧) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٢٩٧.

(*) فرضه: ثلمه في النهر ينحدر منها الماء، ويصعد منها السفن ويستقى منها ، ومحط السفن في البحر،الفيروز آبادي،مجد الدين بن محمد بن يعقوب بن عمر الشيرازي (ت٨١٦هـ/١٤١٣هـ) القاموس المحيط، (د. م، ١٣٥٢هـ) ، مادة فرض .

(٧٨) متز، ادم، الحضارة الاسلامية، ج٢، ص٤٣٨.

(٧٩) فارس، نامه، القسم المترجم إلى الإنكليزية والخاص بمقاطعة فارس.

Decrpition of the province of fars in Persia Translated, G. Le Stranfe, P.

(٨٠) الادريسي، نزهة المشتاق، ص٣٩٣.

(٨١) المصدر نفسه، ص٤١٨- ٤١٩.

(٨٢) مؤلف مجهول: العيون والحدائق في اخبار الحقائق، نشر: دي غويه، مطبعة الارشاد، (بغداد، ١٩٧٢م)، ج٤، قسم١، ص٢٣٥.

(٨٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٣٤٩، العيون والحدائق، ص٦١، قسم١، ص٩٦- ١٢٤- ١٢٥، الكبيسي، حمدان عبد المجيد، اسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، (١٤٥، ٣٣٤هـ/ ٧٦٢- ٩٤٥م)، منشورات وزارة الثقافة والفنون، (بغداد، ١٩٧٩م)، ص٢٧٤.

(٨٤) الصولي، ابو محمد بن يحيى بن عبد الله، (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م) أخبار الراضي بالله والمتقي لله (الاوراق)، عني بنشره ج هيورث د. ن، مطبعة الصاوي، (مصر، ١٩٣٥م)، ص١٠٥، ١٠٦.

(٨٥) شهاب الدين محمد بن احمد بن منصور (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، المستطرف في كل مستظرف، المطبعة الكستلية (القاهرة، ١٢٧٩هـ)، ج١، ص٨٢.

(٨٦) الابشيهي، المستطرف من كل فن مستظرف، ج١، ص٨٢.

(٨٧) المصدر نفسه، ج١، ص١٤٤.

(٨٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٢٧.

(٨٩) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٦.

(*) شطار والعيارون: نكتل نتج عن شعور تكون لدى الطبقة العامة لزيادة نسبة التباين الطبقي وسوء الوضع المعاشي للطبقة العامة وانتشار الفوضى العامة . التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢، ص١٠٧.

(٩٠) مسكويه، تجارب الامم، ج١، ص٧٤. ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج٦، ص١٦٣- ١٦٦، ١٦٧، ص٢٩٩.

(٩١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٤٦١، ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٠.

(٩٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٤٣.

(٩٣) مجهول، العيون والحدائق، ج٤، رقم ١، ص١١٢، ص٣٠٩، الكبيسي، حمدان عبد المجيد، اسواق بغداد، ص٢٧٦.

(٩٤) الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٠٥.

(٩٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٦٤.

(**) قفيز: مكيال، وهو ثمانية مكاكيك، كل مكوك كيلجات وكل كليلجة تساوي ٦٠٠ درهم، أي حوالي ٤٥ كغم قمح، الماوردي، أبي الحسن بن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٧م)، الاحكام السلطانية، (القاهرة، ١٢٩٨م)، و(لندن، ١٩٠١م)، ص١٤٩- ١٥٠.

(٩٦) الطبري، تاريخ الرسول والملوك، ج٨، ص٦٤.

(***) الكر: هو مكيال في الاصل، وكان يساوي في العراق من حيث الاساس ٣٠ كارة ويساوي ٦٠ قفيز، وكل قفيز يساوي ٨ مكاكيك وفي القرن العاشر الميلادي/ اواخر القرن الثالث الهجري، كان الكر في بغداد والكوفة يساوي ٦٠ قفيزاً وكل قفيز ٨ مكاكيك ٣ كليجات وكل كليجة ٦٠٠ درهم من القمح ويساوي ٢٧٠٠ كغم. هنتس ، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعدلها في النظام المتري، ترجمه عن الأمانية: د. كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، تولى اصداره: بيرتولد ، شبولر، (هيوتجن، ١٩٥٥م)، ص٦٩.

(٩٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٩٩.

(٩٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٦.

(٩٩) المصدر نفسه ، ج٦، ص١٧٨.

(*) الوزير هو عبد الله بن محمد الخاقاني الذي تولى الوزارة سنة (٣١٢-٣١٣هـ/ ٩٢٥-٩٢٦م). مسكويه، تجارب الأمم، ج١، ص١٢٧.

(١٠٠) الهمداني، محمد بن عبد الملك، (ت٥١٢هـ/ ١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: كنعان، ط٢، (بيروت، ١٩٦١)، ج١، ص٥٤.

(**) هو مؤنس المظفر قائد الجيش الذي زعل على الخليفة المقتدر وصعد بجنده إلى الموصل، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٢٣.

(١٠١) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري ، ج٦، ص٢٢٣.

(١٠٢) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٢٣.

(١٠٣) الصولي، الاوراق، ص٦٦، ٧٠- ٧١، الكبيسي، حمدان عبد المجيد، اسواق العرب، ص٢٨٣.

(١٠٤) الصولي، الاوراق ، ص٧١- ١٠٤، ابن الاثير، الكامل، ج٦، ص٢٥٧.

(١٠٥) الهمداني، تكملة، ج١، ص١٢٠.

(١٠٦) الصولي، الاوراق، ص٢٣٦، ٢٤٣- ٢٤٤، الكبيسي، حمدان عبد المجيد، سوان العرب، ص٢٨٤.

(*) محمد بن رائق: هو أمير الأمراء، تم تقليده هذا المنصب من قبل الخليفة الراضي (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٣- ٩٤٠م) فضلاً عن تقليده منصب الإمارة ورئاسة الجيش ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون في جميع النواحي، وفرض إليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب له جميع المنابر من الممالك ويطل منذ يومئذ أمر الوزارة. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٥٤.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص٢٢٣.

(**) الخشكار: هو الدقيق الذي لم تنزع نخالته

(١٠٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ص٦، ص٢٨٤.

(١٠٩) الصولي، الاوراق، ص٢٢٨.

(١١٠) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٩٤.

(١١١) الصولي، الاوراق، ص٢٥١.

(١١٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٩.

(١١٣) مسكويه، تجارب الامم، ج٢، ص٨٣، الهمداني، تكملة، ج١، ص١٤٧.

(١١٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٤٤- ٣٤٥.

(١١٥) عجائب، ص٢٣.

(١١٦) الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٤٩.

(١١٧) مسكويه، تجارب الامم، ج٢، ص٨. ابن الجوزي، عجائب، ص٣٥.

(١١٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٣٣٠.

(١١٩) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٣١.

(١٢٠) المصدر نفسه، ج٦، ص٣٣١، ص١٣٤.

(*) أحمد البويهي: هو أبو الحسين أحمد بن بويه الدليمي المسمى بمعز الدولة، وهو أحد مؤسسي الدولة البويهي، دخل بغداد سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م أيام الخليفة المستكفي بالله، فأمر الخليفة أن يضرب لقبه وكناه على الدنانير والدراهم. مسكويه، تجارب الأمم، ج٢، ص١٥٨.

(١٢١) منيمنة، جن، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي، مقاطعة فارس (٣٣٤-٤٤٧هـ/ ٩٤٥-١٠٥٥م) الدار الجامعة، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص٧٩- ٨٠.

(١٢٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٧٦، ١٣٢، ١٣٦.

(١٢٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٩.

(١٢٤) الروذراوري، ابو شجاع ظهر الدين، (ت٤٨٨هـ- ١٠٩٥م)، ذيل كتاب تجارب الامم، باعتناء آمد روز ومرغليون، (القاهرة، ١٩١٦م)، أعاد طبعه مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت)، ج٣، ص١٨٤.

(١٢٥) التنوخي، نشوار المحاضرة، ج١، ص٤٨- ٤٩، ابن الجوزي المنتظم، ج٧، ص٧٥، ١٥٣، ١٧٤، ٢٢٠، ٢٣٧.

(126) Cahen, mourement, II, P.44- 46.

- وانظر منيمنة، جن، تاريخ الدولة البويهية ، ص٣٩٧.

(١٢٧) يونس بن طوغان الشهير بالمقياتي، نزاهة الافكار في معرفة احوال الاسعار، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم ٥٤ سياسة واجتماع، ورقة ١- ٣، ٥.

(١٢٨) المصدر نفسه، ورقة ٧- ١.

(*) السواد: يراد به رستاق العراق وضياعها التي افتحها المسلمون على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمي بالسواد لسوادة بالزروع والاشجار لأنه تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر كانوا اذ اخرجوا من ارضهم ظهرت لهم خضرة الزرع، يسمونه سواداً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٠٩.

(**) كسكر: كورة واسعة معروفة قبل الاسلام وبعد أن انشأ الحجاج مدينة واسط، أصبحت واسط قصبة لكسكر، المصدر نفسه، ص٤٦١.

(١٢٩) الطبري، تاريخ الرسول والملوك، ج٨، ص٥٨١.

(١٣٠) وكيع، محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، اخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز المراغي، مطبعة الاستقامة، (القاهرة/ ١٩٤٧م)، ص٢٩٧- ٢٩٨.

(١٣١) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج٣، ص٥.

(***) بر عيسى: ينسب هذا النهر إلى عيسى بن علي بن عبد الله الخليفة أبو جعفر المنصور، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٩٢.

(١٣٢) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري (ت٩١١هـ/ ١٥١٦م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)، ص١٤٧.

(١٣٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٥، ص١٧٢.

(١٣٤) ابن الجوزي، المنتظم ، ج٥، ص٨٩.

(١٣٥) الحموي، ابو الفضائل محمد بن علي (ت٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م)، التاريخ المنصوري ((تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان))، نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الاداب، جامعة بغداد، ورقة ١٢٣- ١.

(١٣٦) الهمداني، تكملة، ج١، ص١٦. الكبيسي، حمدان عبد الهيد، اسواق بغداد، ص٢٨٧.

(١٣٧) الهمداني، تكملة ، ج١، ص٢١.

(١٣٨) ابن دقماق، ابراهيم بن محمد (ت٧٩٠هـ/ ١٢٨٨م) نزهة الانام في تاريخ الاسلام، مخطوطة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، برقم ٨٥١.

(١٣٩) الهمداني، تكملة، ج١، ص١٦.

(١٤٠) ابن الجوزي، المنتظم، ج٦، ص٢٠٢.

(١٤١) ابن الجوزي، المنتظم ، ج٦، ص٢٠٢.

(١٤٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٢٢٨، الكبيسي، حمدان عبد الحميد، اسواق بغداد، ص٢٨٨.

(١٤٣) الصولي، الاوراق، ص١٠٥- ١٠٦ و٢١٦.

(١٤٤) احمد رستم سوسة، فيضانات بغداد في التاريخ، مطبعة الاديب (بغداد، ١٩٤٢م)، ق١، ص٢٩١.

(١٤٥) الصولي، الاوراق، ص٦٢.

(١٤٦) المصدر نفسه، ص٦٨.

(١٤٧) الهمداني، تكملة، ج١، ص٩٢.

(١٤٨) المصدر نفسه، تكملة، ج١، ص٩٢.

(١٤٩) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٥٧.

(١٥٠) الهمداني، تكملة، ج١، ص١٢٠- ١٢١.

(١٥١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩، الكبيسي، حمدان عبد الحميد، اسواق بغداد، ص.

(١٥٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) عجائب البدائع ومخطوط؛ المخطوطات العربية المكتبة الوطنية (باريس، د.ت)، رقم ١٥٦٧، ص٣٧، ٤٤٣٨، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٦.

(١٥٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٨، ص٦٠.

(١٥٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٧٧.

(١٥٥) ابن الجوزي، المنتظم ، ج٨، ص٦٠، ٦٩، ٧٧، ٧٩.

(١٥٦) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٢٦- ٤٢٧.

(١٥٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج٧، ص٢٣٨.

(١٥٨) المصدر نفسه، ج٨، ص١٥٤.

(١٥٩) الشيرازي، عبد الرحمن بن نصر، (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، دار الثقافة، ط٢ (بيروت، ١٩٨١م)، ص١٢.

(١٦٠) المصدر نفسه، ص١٢.

(١٦١) مسكويه، عجائب الامم، ج١، ص٧٤.

(١٦٢) الهمداني، تكملة، ج١، ص٩.

(١٦٣) مسكويه، تجارب الامم، ج١، ص٧٤.

(١٦٤) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص١٢٥.

(١٦٥) متز، الحضارة الاسلامية، ج١، ص١٧٦.

(١٦٦) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص١٢٥.

(١٦٧) المقرمة، ج٢، ص٨٤٢- ٨٤٣.

(١٦٨) الصابي، الوزراء، ص٢٢١.

(١٦٩) المصدر نفسه، ص٢٢٣ وص٣٧٤.

(١٧٠) المصدر نفسه ، ص٢٢٠.

(١٧١) المصدر نفسه ، ص٢٢٣- ٢٧٤.

(١٧٢) مسكويه، تجارب الامم، ج١، ص٧٤.

(١٧٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٦٣.

(١٧٤) الهمداني، تكملة، ج١، ص٢١، الكبيسي، حمدان عبد الحميد، اسواق بغداد، ص٢٩٦.

(١٧٥) الشيزري، ، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١٢.

(١٧٦) مسلم، مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري(ت ٢٦١هـ/٨٧٤م)، الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، تحقيق: النووي، دار إحياء التراث، (مصر ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ج٣، ص١٢٢.

(١٧٧) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص٦٢.

(١٧٨) مسكويه، تجارب الامم، ج١، ص٧٤.

(١٧٩) الموطأ، ص٥٠٤-٥٠٥.

(١٨٠) مسكويه، تجارب الأمم ، ج١، ص٧٤.

(١٨١) الصولي، الاوراق، ص٢٤٣.

(١٨٢) تاريخ بغداد، ج١، ص٨١.

(١٨٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٥٣.

(*) المكس: هو ما ياخذ من باعة السلع في الاسواق أو ما يبيعونه (ضريبة) أو عندما يدخلون انتاجهم وصناعتهم الى المدن، الفيروز ابادي، القاموس المحيط، مج٢، ص٢٥٢. مادة مكس، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق: محمود محمد الطنابجي، (د.م، د.ت) ، ج١٦، ص٥١٤- ٥١٥. إلا أن ابن سعد قد اشار بأن الخليفة عمر بن العزيز ﷺ كان قد الغى الضرائب الاستثنائية والتي منها ضريبة المكس وذلك: "وأما المكس بخس الذي نهى الله عنه، مستنداً الى قوله الله تعالى ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (سورة الشعراء، الآية: ١٨٣) غير أنهم كنوه باسم اخر"، الطبقات، ج٥، ص٢٨٣. يتضح من النص السابق أن هذه الضريبة كانت موجودة في العصر الاموي إلا إنه اسمه بشيء آخر وقد ألغاها الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ وتحت نفس المعنى فقد اشار الاستاذ عباس العزاوي إلى هذه الضريبة التي زادت في فترة متأخرة في العصر العباسي وأصلها هدايا اكتسبت شكل رسوم مقررة، المكس في الدولة العباسية، مجلة غرفة تجارة بغداد، السنة السادسة، الاعداد (٦، ٧، ٨) (بغداد، ١٩٤٣م)، ص١٤٣- ١٤٤.

(١٨٤) تاريخ اليعقوبي، المكتبة المرتضوية، (النجف، ١٢٥٨م)، ج٣، ص١٤٣.

(**) سعيد الحرشي: هو سعيد بن عمرو بن اسود بن مالك بن كعب بن الحرشي اشترك في توطيد الامن الداخلي للخلافة، كما اشترك في فتح بلاد السند وسمرقند وفتح ارمينية سنة ٧٢هـ/ ٧٣٠م، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٨٨.

(١٨٥) الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠٤.

(١٨٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، المكتبة المرتضوية ، (النجف، ١٢٥٨هـ)، ج٣، ص١٤٣.

(١٨٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٠٣.

(١٨٨) المسالك والممالك، ص٣٠٣، والدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٣٠٤.

(١٨٩) ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص١٨٥.

(١٩٠) التنوخي، تجارب الأمم، ج١، ص٣٨٣.

(١٩١) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٨٦.

(١٩٢) الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠٤.

(١٩٣) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص١٣ ص١٤.

(*) أن القائمة التفصيلية التي وصلتنا للفترة (٢٤٧- ٣٣٤هـ/ ٨٦١- ٩٤٥م)، هي قائمة علي بن عيسى وزير المقتدر (٢٩٥- ٣٢٠هـ/ ٩٠٧- ٩٣٢م) التي اعدها لضبط ميزانية الدولة سنة (٣٠٦- ٩١٨م) والتي تشير إلى مجموع دخل الدولة من الخراج والاعشار ورسم الجوالي وواردات الضياع وهي مقسمة إلى أربع فصول، جرجي، زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، (القاهرة، ١٩٥٨م)، ج٢، ص٢٠٩، والدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٩٣.

(١٩٤) المصدر نفسه ، ص١٩٢.

(١٩٥) الصابي، هلال بن المحسن، ت (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) كتاب الوزراء (تحفة الأمراء بتاريخ الوزراء)، تحقيق: فراج، (القاهرة، ١٩٥٨م)، ص٣١٠.

(١٩٦) مسكويه، تجارب الام، ج١، ص٣٨٣.

(١٩٧) الصابي، ابو اسحاق بن إبراهيم بن هلال، (ت٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) المختار من رسائل الصابي (رسائل الصابي)، عبد الستار أحمد فراج، دار الكتب المصرية، دار النهضة (بيروت، د.ت)، ص٢٤٥- ٢٤٦.

(١٩٨) صورة الأرض، ص١٩٤.

(*) رحا البطريق: الرحا: هي التي يطحنها فيها، وهي ببغداد على الصراة، نسبه إلى البطريق الذي انفذه ملك للروم إلى الخليفة المهدي مهناً له، فبعد أن اكرمه وقرباه، وبعد أن اقام أشهراً ثم خرج يوماً يتنزه ببراثا وما يلها، فلما اجتاز إلى الصراة، فلما نظر إلى مكان وقف ساعة يتأمله، فقال له الموكلون به، قد ابطأت، بعدها اقترح على الخليفة أن يبنى له مستغلاً يؤدي في السنة خمسمائة الف درهم فبنى الارحاء المعروفة بارحاء البطريق،

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥.

(١٩٩) اليعقوبي، البلدان، ص٢٠- ٢١.

(٢٠٠) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٩٤.

(٢٠١) التنوخي، ابو المحسن بن علي، (ت٣٨٤/ ٩٩٤م) جامع التواريخ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، باعتناء: مغليوث، (دمشق، ١٩٣٥)، ص٩٤.

(٢٠٢) ابن حوقل، صورة الارض، ص١٤٣.

(٢٠٣) المصدر نفسه ، ص٢١٤.

(٢٠٤) المصدر نفسه، ص٢١٤.

(٢٠٥) مسكويه، تجارب الامم، ج٥، ص٧٢.

(٢٠٦) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٣.

(*) أبو نصر الوزير (٤٤٠-٤٤٧هـ/ ١٠٤٨-١٠٠٠م): هو أبو نصر خسرو فيروز وزير الدولة البويهي في بغداد الذي عندما علم بوفاة أبيه (أبي كاليجار) استخلف على الجند، وقد استقر حكمه على العراق وخوزستان والبصرة، ولقب نفسه بالملك الرحيم. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٠٤.

(**) عميد الجيوش أبي علي: هو نائب بهاء الدولة البويهي (٣٠٠هـ/ ٩٩٠م) على ولاية العراق، وقد دامت ولايته نحو ثماني سنوات ونصف، وقد توفي في سنة (٤٠١هـ/١٠٠٠م) . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٠٣هـ.

(٢٠٧) الصابي، كتاب الوزراء، ص٣٦٨.

(٢٠٨) مسكويه، تجارب الامم، ج٣، ص٨٥.

(٢٠٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص١٩٠- ١.

(٢١٠) العلي، صالح احمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص٢٧٢- ٢٧٤.

(٢١١) العزاوي، عباس، المكس في الدولة العباسية، ص٤٤٢.

(٢١٢) أحسن التقاسيم، ص٤٢٩.

(*) شيراز: كورة كثيرة الجبال، قصبتها على اسمها، ومدنها البيضاء، فسا دمشت، ويعتبر الادريسي شيراز مدينة داخلة ضمن كورة اردشير خرة ويقول: وقاعدة فارس مدينة شيراز، وهي دار مملكة فارس، وبنزلها الولاة والعمال وبها الديوان، وهي مدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن عقيل ، المقدسي، احسن التقاسيم، ص٤٠٦، نزهة المشتاق، ص٣٩٤-٣٩٥، ٣٩٨.

(٢١٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص٤٥١.

(٢١٤) ابو يوسف، يعقوب، الخراج، ص٥٩، ٨٠- ٩١، ١٢٢، ١٢٨، ١٣٧.

(*) الجهبزة: هو مؤسسة مالية تجارية يساعد على القيام بعمليات البيع والشراء، ليس في البلد الواحد، بل في البلدان المتعددة، ابراهيم، جابر الجابر، النقود العربية الاسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ط٣، (مصر، ٢٠٠٥)، ج٣، ص٤٤٧.

(**) ضريبة الاحداث: وهي الغرامة التي تفرضها الشرطة، الصابي، رسائل الصابي، ص٩٨- ٩٩، ١١١، ١٢٧.

(٢١٥) المصدر نفسه، ص١١١- ١٢٧.

(٢١٦) منيمنة، جن، تاريخ الدولة البويهية، ص٣٩٢.

(٢١٧) الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٩٤- ١٩٥.

(***) أصفهان: هي أحدى كور ناحية الري وهي متوسطة في الاقليم الرابع، جليلة المدن، قديمه الرسم، الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٣٩٢، المقدسي، احسن التقاسيم، ص٤٠٢.

(****) همدان: هي احدى كور ناحية الري وقصبتها اليهودية، المصدر نفسه، مج١، ص٣٩٥.

(٢١٨) عبد الرؤوف، المدينة الاسلامية المستقلة في المشرق، ص١٨٣.

(٢١٩) أحسن التقاسيم، ص٤٢٩.

(٢٢٠) الاصطخري، المسالك والممالك، ص٩٦.

(٢٢١) منيمنة ، جن/ تاريخ الدولة البويهية، ص٣٩٦.

(٢٢٢) ابن البلخي، فارس نامة ، ص٣١٦- ٣١٨.

(٢٢٣) المستوفي، حمد الله ، نزهة القلوب، ص١١٢-١١٤.

(٢٢٤) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٦٥.

(*) ارجان: كورة جليلة سهيلة وقصبتها على اسمها وهي على الحدود بين فارس وخوزستان وهي مدينة حسنة في غاية الطيب ومن مدنها قوستان، مهربان، الادريسي نزهة المشتاق، مج١، ص٣٩٥.

(٢٢٥) ابن حوقل، صورة الارض، ص٢٦٥.

(٢٢٦) منيمنة، جن ، تاريخ الدولة البويهية ، ص٤٠٠.

(٢٢٧) الماوردي، ابو الحسن علي بن حبيب المصري، (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٧م)، الاحكام السلطانية، (القاهرة، ١٢٩٨م)، و(لندن، ١٩٠١م)، ص٧١-٧٢.

(٢٢٨) سورة ال عمران، اية رقم (٧٥)

(٢٢٩) ابن سعد، الطبقات، ج٧، ق٢، ص٦٥.

(٢٣٠) البلاذري، انساب الاشراف، باعتناء: كوتين، (القدس، ١٩٣٦م) ج٥، ص٢٣، ابن سلام، ابو عبيد القاسم بن سلام الهروي الازدي الخزاعي البغدادي، (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، كتاب الاموال، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، مطبعة عبد اللطيف حجازي، (القاهرة، ١٣٥٣هـ)، ص٥٣٣.

(٢٣١) ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله، (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، دار التراث، (بيروت، ١٣٢٨هـ)، ج٤، ص١٥.

(*) مثلاً بمثل: أي الأرطال كونهما متماثلين أي متساويين .

(**) تشفوا: مؤجلاً .

(***) بناجز: بحاضر.

(٢٣٢) مالك بن أنس (ت ١٩٧هـ/ ٧٩٥م)، الموطأ، تعليق: محمد عبد الباقي، دار الحديث، ط٣، (القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٣، ص٤٩١.

(٢٣٣) المصدر نفسه ، ج٣، ص٥٠٥.

(****) عبد الله بن عتبة: هو ابن مسعود الهزلي حليف بن زهرة بن كلاب. روى عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود، وكان قاضياً لأهل الكوفة لمصعب بن الزبير. وكان ثقة ، ابن سعد، الطبقات ، ج٨، ص٢٤٠- ٢٤١.

(٢٣٤) وكيع، اخبار القضاة، ج٢، ص١٩٦.

(٢٣٥) الجاحظ، البخلاء، ص١٧٧ الكبيسي، حمدان عبد المجيد، النشاط التجاري في أسواق بغداد، ص٣٦.

(٢٣٦) الاحكام السلطانية، ص٢٨٣.

(٢٣٧) تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥٣.

(٢٣٨) الكبيسي، حمدان عبد المجيد، دراسات في التاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي، ص١٢٨.

(٢٣٩) الشيزري، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١٢.

(٢٤٠) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٧.

(٢٤١) ابن بسام، محمد بن احمد، نهاية الرتبة، ص١٥.

(٢٤٢) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٥، ١٩ .

(٢٤٣) اين الاخوة، محمد بن محمد بن حمد القريشي، (ت٧٢٩هـ/ ١٣٢٢م) معالم القربة في احكام الحسبة، روبين ليفي، مجموعة تذكار رجب (لندن، ١٩٣٨م)، ص٨٥.

(٢٤٤) الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٢.

(٢٤٥) المصدر نفسه ، ص١٩.

(٢٤٦) يحيى بن عمر الاندلسي، (ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م) احكام السوق نشره: الاستاذ محمود محمد مكي، صححه: المعهد المصري للدراسات الاسلامية، (مدريد، ١٩٥٦م)، ص١٠.

(٢٤٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٦٦ وقد كان هارون بن ابراهيم تولى الحسبة على بغداد سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م ، المصدر نفسه، ص٣٦٦.

(٢٤٨) الناصر الاطرش، الحسن بن علي، (ت٣٠٤هـ/ ٩١٧م)، كتاب الاحتساب، مجلة (رفستا، نشر: أ. ر. ي، (د. م. د. ت)، ص٣١.

(٢٤٩) ابن بسام، نهاية الرتبة، مخطوط ص١٦ب ١٧أ.

(*) يرى الدكتور الدوري، عبد العزيز بأنه يتصل بالتماسك الحرفي والشعور بالكيان لدى أهل الصنايع انتشار الانتساب إلى المهنة، ويستدل من ذلك على تحسين النظرة إلى الصناعات اليدوية، نشوء الأصناف والحرف، مجلة كلية الآداب، العدد الأول، (بغداد، ١٩٥٩م).

(٢٥٠) المرجع نفسه، ص١٣٠.

(٢٥١) وكيع، اخبار القضاة، ج١، ص٣٤٧.

(٢٥٢) ابن بسام، نهاية الرتبة، ص١٦، ١٧.

(٢٥٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٧٠- ١٧٦.

(٢٥٤) الأساكفة: هم الصناع الذين يدبغون الجلود ويهيئونها لغرض صنع الخفاف والأحذية التي تنوعت أشكالها ونماذجها حتى قيل عن بيت الأسكاف (بيت الإسكاف فيه من كل بلد رقعة ومن كل ادم قطعة). الثعالبي، ثمار القلوب، ص١٩٣.

(٢٥٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص٤٢.

(٢٥٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، ج٨، ص٧٣.

(٢٥٦) الناصر الاطرش، الاحتساب، ص١٤.

(٢٥٧) المصدر نفسه، ص٧- ٨.

(٢٥٨) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٢٤٠- ٢٤١.

(٢٥٩) المصدر نفسه ، ص٣١٩، وانظر: ابن الاخوة، معالم القربة، ص٧.

(٢٦٠) الماوردي، الاحكام السلطانية، ص٣١٩، وانظر: الناصر الاطرش، الاحتساب، ص١٣.

(٢٦١) الماوردي، الاحكام السلطانية ، ص٣١٩، وانظر: الشيزري، نهاية الرتبة، ص٦.

(٢٦٢) الماوردي، الاحكام السلطانية ، ص٣١٩.

(٢٦٣) المصدر نفسه، ص٣١٩.

(٢٦٤) المصدر نفسه ، ص٣١٨-٣١٩، وأنظر: ابن الاخوة، معالم القربة، ص٨.

(٢٦٥) الماوردي، الاحكام السلطانية ، ص٣١٨-٣١٩، وأنظر: مسكويه، تجارب الأمم، ص٢٠٩.

(٢٦٦) الماوردي، الاحكام السلطانية ، ص٣١٩، وأنظر: الشيزري، نهاية الرتبة، ص١٠.

[٢٦٧] مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٢٠٩.

[٢٦٨] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٣٣٠.

[٢٦٩] المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣٠، ج١٠، ص٣٣٩.

[٢٧٠] المصدر نفسه، ج٢، ص٣٣٠، ج١٠، ص٣٣٩.

[٢٧١] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٣٢٠ رقم ٢١٧.

[٢٧٢] ابن الاثير، الكامل في التاريخن ج٧، ص١٦٦.

[٢٧٣] وكان يتولى وابوه فضلا عن الحسبة الصلاة في المسجد الجامع والرصافة، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٣٣ رقم ٨٢٠.

[٢٧٤] الهمداني، محمد بن عبد امللك، (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: كنعان، ط٢، بيروت، ١٩٦١م.، ج١، ص٣١.

[٢٧٥] المصدر نفسه، ط١، ص٣١.

[٢٧٦] ابن كثير، عماد الدين ابو الندا اسماعيل بن عمر بن كثير، (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٢٩- ١٩٣٩م)، ج١١، ص١٤٥.

[٢٧٧] مسكويه، تجارب الأمم، ج٥، ص٢١٥.

[٢٧٨] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٧٦.

[٢٧٩] مسكويه، تجارب الامم، ج٥، ص١٠٩.

[٢٨٠] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٦، ص٥١٢- ٥٢ برقم ٢٠٧، ج٢، ص١٦٤ برقم ٣٢١٢.

Abstract :

The Person who study the markets in the orient Islamic (Iraq, State of Persion, the States of behind rivers) from Muhammed (May Gad please him) Penod until the end of buwayhids penied would that there was a development take place in type and shape of markets .

The Islamic cities may be have two conditions for there is tablishment, one was the mousque and market. These markets developed from simple area without any buildings to specialist markets with faeilities by their manufacted goods, That could help the sellers in good manner.

The market was the reflection of the politic live in that period . The markets noticed a pelatic troubles between Catiphate Al- Ameen and Al-Maa'moon and appearing groups of theifs called (Al-Ayroon), that stale houses and markets.

They became stronger in Al-Abasid weakened. Meanwhile the Persion state and the states of behind markets became more largest in tradc and ecomomy.

But Baghdad still sutfered from heavy taxes.

الأسواق في المشرق الإسلامي (العراق/ بلاد فارس/ بلاد ما وراء النهر) من عهد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى نهاية العصر البويهي

الخلاصة

إن المتتبع لدراسة الأسواق في المشرق الإسلامي (العراق بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر للفترة من عهد الرسول محمد ﷺ حتى نهاية العصر البويهي) ليجد أن هناك تطوراً ملحوظاً حدث في نمط الأسواق وشكلها وتخطيطها وتخصيصها، إذ كان ولا يزال تتوافر في المدن الإسلامية والأمصار الشرطان الأساسيان لقيامهما وهو المسجد الجامع والأسواق، ولقد تطورت هذه الأسواق من كونها فضاء لا بناء فيها ولا سقوف تظللهم في أماكن البيع والشراء إلى أسواق متخصصة تصنف وفق المواد والسلع المنتجة فيها لأن ذلك من شأنه تسهيل مهمة الإشراف عليها من قبل عامل السوق والمحتسب فيما بعد .

وقد كانت الأسواق مرآة للحياة السياسية السائدة آنذاك فقد شهدت جانباً من الأزمات السياسية بين الخلفاء الأمين والمأمون، واستفحال أمر العيارين وتكاثر جمعهم أبان الاضطرابات فيقومون بنهب المنازل والأسواق، فكلما كانت الدولة العباسية تزداد ضعفاً اشتد عدوانهم على أسواق بغداد، في حين شهدت أسواق بلاد فارس وبلاد ما وراء النهر ازدهاراً اقتصادياً أبان التسلط البويهي على الخلافة العباسية، ورزحت بغداد تحت كاهل الضرائب الثقيلة خلال تلك الفترة.